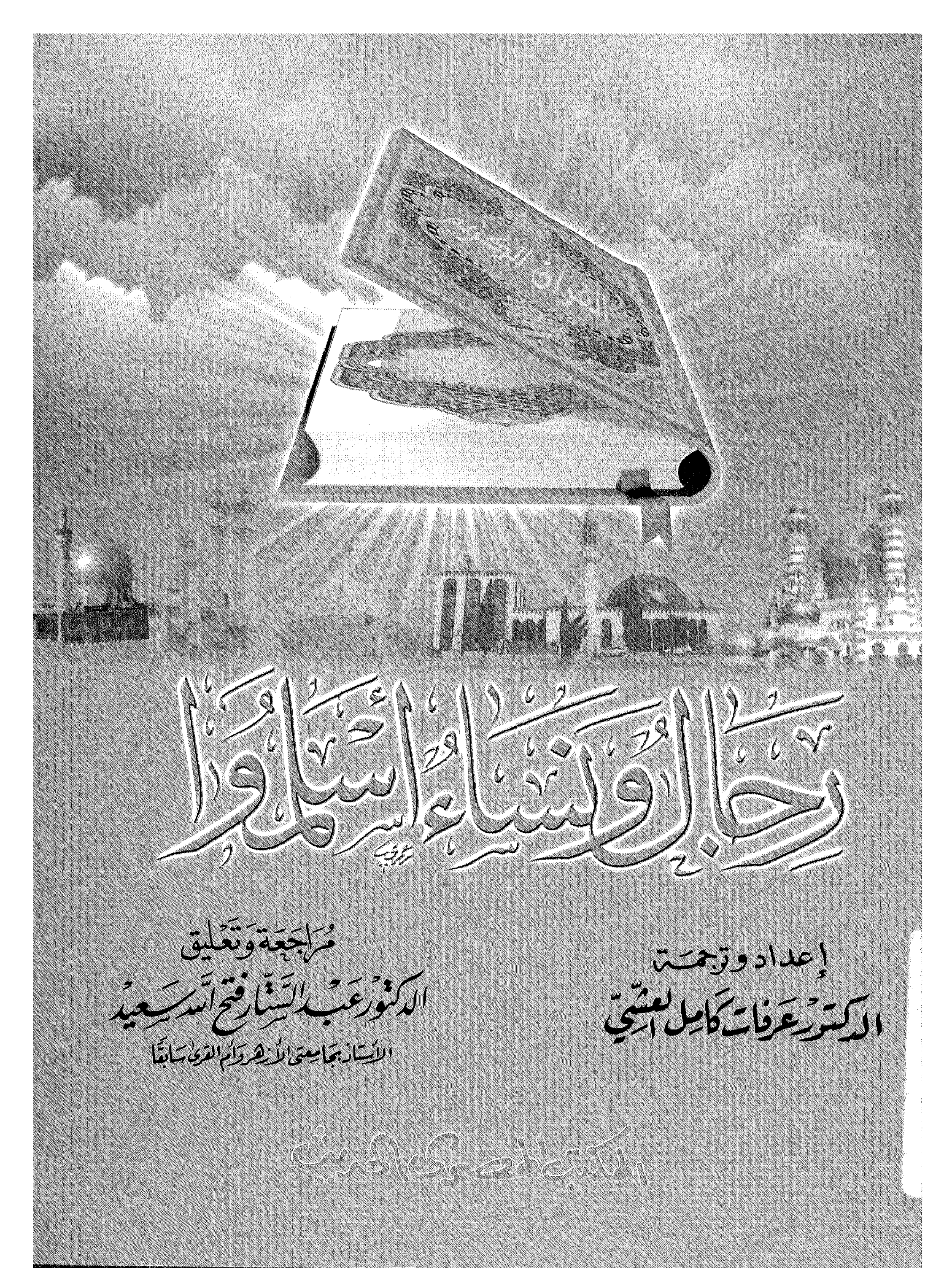

القرآن الكريم
رجال ونساء أسلموا
مراجعة وتعليق
الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد
الأستاذ بجامعتي الأزهر وأم القرى سابقاً
إعداد وترجمة
الدكتور عرفات كامل العشي
المكتب المصري الحديث

رجال ونساء أسلموا ..

أكثر من مائة شخصية - على حلقات



شخصيات الحلقة الثالثة

- ك.ل. جاويا
- أحمد زيتونى
- فاطمة سى لامير
- توماس محمد كلايتون
- عبد العزيز كانجولى
- عبد الله بنيامين
- كريم عبد الجبار
- خالد. س. بروتديش
- الحاج أحمد بن عبد الله
- محمد طاهر
- الدكتور م.ح. دورانى
- الدكتور شوقى فوتاكى
- (مالكولم إكس) أو مالك شباز
- ميخائيل هيمز
- عمر أمين شوارك
- فرانسيس سترين
- الحاج إبراهيم خليل أحمد
- قمر الدين عبد الله
- جميلة قرار
- خليل شاه
- زينب توراه
- على يول
- دونالد.س. روكويل
- السيد إحسان شاه
- الحاج ولى محمد
- السيدة مارى أوليفر

مقدمة للصفحات التالية

بقلم د. عيسى عبده (*)

الحمد لله القائل فى محكم آياته ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠]، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله المبعوث رحمة للعالمين ،

أما بعد: فقد طلب المؤلف أن أكتب كلمة بين يدى هذه الصفحات التالية من المادة التى يجمعها .. عن رجال ونساء أسلموا.. فبادرت إلى الصفحات الأولى أستزيد من إمعان النظر فيها ، وقد كنت قرأتها حال ظهورها .. ثم عكفت على مادة هذه الصفحات التالية التى يجدها القارئ بين يديه ..وكان غرضى من الرجوع إلى أول السلسلة أن أصحب المؤلف الفاضل فى خطواته الرتيبة من جديد ، لعلى أجد فى هذا المنهج مزيدا من القربى إلى هذه الجماعة الصالحة التى رضى الله عنها فتمسكت بحبله المتين، بعد أن كاد كل فرد منها أن «تهوى به الريح فى مكان سحيق».

طبيعى أن أحدثك هنا عن هذه القصص التالية دون غيرها ، ولكن أمراً مهما دعانى إلى ذكر ما تقدم بيانه..وذلك أنى رجوت المؤلف الفاضل أن يحرص فى الطبعة الثانية للسلسلة من أولها ، إن شاء الله تعالى ، على أن يتبع كل بيان أو تقرير قصة عن هؤلاء الذين أسلموا .. بتعقيب يبسط الموجز ، حيثما ينبغى الشرح والإطناب .. ويرجع بالسلوك أو بالرأى الذى يبديه من اعتنق الاسلام ، إلى أصل ثابت فى الكتاب والسنة أو اجتهاد سليم يلقى على الأصول الثابتة بيانا يزيدها وضوحا فى هذا الزمان المتأخر.. وقد عرف كل غيور على دين الله ، أن انصراف الأمة عنه قد أقام حجابا من الظلمة بين النفوس اللاهية وبين هذه البصائر الخالدة ..

وإذ دعوت صاحب السلسلة إلى الأخذ بهذا المنهج .. فقد كان لزاما أن أضرب

(*) انظر قصة إسلام والده، وسبب تسمية الابن باسم (عيسى) فى القصة رقم (١١) سابقاً.

الأمثال فى تقديمى هذا .. أما التعقيب الوافى فإنى أدعو الله أن يجعله ميسرا للمؤلف بعد أن يصل بالجمع والترتيب إلى مرحلة مناسبة .. فلن يتوقف الدخول فى دين الله طواعية واختيارا .. ولن تنفد مادة هذا القصص الراشد إن شاء الله رب العالمين .

وبعد فقد نظرت فى أصول الكتاب مليا .. واستمعت لكل راوية وهو يعرض الدوافع التى حملته على اعتناق الإسلام .. وأفدت من ذلك دروسا يهمنى أن أضعها بين يدى القارئ .. لأنها وثيقة الصلة بما نلمحه من يقظة فى مفتتح هذا القرن الخامس عشر من تاريخ الإسلام .

ومن هذه الدروس ما يتصل بالجهود الجماعية للمسلمين .. كاختيار الأساليب المقبولة عند الأوروبى والأمريكى وغيرهما ، فى زمننا هذا .. وخطورة الفرقة القائمة بين المسلمين والعزلة التى يعيش فيها من اعتنق الإسلام وبقى فى بيئة أصبحت غريبة عليه .. كما أصبح هو غريبا فيها ، بعد أن عاش فى ظلها طويلا .. هذا من ناحية .. ومن ناحية أخرى تجد دروسا أقرب إلى تركيز عقيدة الفرد وتهذيب سلوكه وتدعيم روابط الأسرة .. وليس عجيبا أن ينتبه الباحث فى الإسلام عن اقتناع ، إلى أمر لا ينتبه إليه المسلم بالميراث وبالتقليد .. وإذ نعرض لأهم القصص تباعا سنرى بوضوح ما فى تفكير كل واحد من هؤلاء المهتدين من اتزان ، وما فى سلوكهم من رشاد يرتضيه العبد الصالح لنفسه .. ثم نختتم القول بما يصح اعتباره توصية للأمة الاسلامية مجتمعة حال مواجهتها لتيارات الإلحاد الجارفة وحال قيامها بالواجب نحو الداخلين تباعا فى دين الله .

●●●

جاء ذكر السيدة (فاطمة هيرين) فى رأس القائمة التى بلغت أربع عشرة حالة ..[1] والسيدة فاطمة ألمانية حباها الله بنفس واعية .. إذ بدأت تنظر ما حولها وهى لاتزال بين العاشرة والعشرين .. وبعد ذلك بقليل اعتنقت الإسلام .. وفى قصتها أمر جد خطير .. ذلك أنها كرهت رجال الكنيسة لسبب يصعب على الفتاة الغربية أن تتحمس

(١) يقصد الدكتور عيسى عبده الحالات التى تناولها بالتعليق حسب تقسيم حلقات الكتاب فى الطبعة القديمة.

له وهى فى سن الشباب الجامح، وفى بيئة غرقت فى الرذيلة تحت ستار يقال له النضج والواقعية .. قالت السيدة فاطمة بإنها فزعت من مسلك رجال الدين ووصفت الكنيسة من أجل ذلك بأنها « متهاونة مساومة » ونسبت إليها أنها تتنكر لمبادئها وتعاليمها من أجل الإبقاء على سلطانها، وما يكفله من أجر ومن مركز فى المجتمع الذى تعيش فيه.

ونريد أن نقف عند هذه الجزئية وحدها دون التعرض لأحداث القصة .. فهى فى مكانها من هذا الكتاب .. قالت السيدة فاطمة إن المجتمع الغربى هوى إلى الحضيض حين سلم بأن الزواج (من الناحية الواقعية) لا يكون ناجحا إلا بعد التجربة ، حتى يطمئن كل من الزوجين إلى وجود قدر كاف من الانسجام فى الاتصال الجنسى ..وإلا فإن التجربة تفشل وتنتقل الأجساد من ابتذال إلى ابتذال .. وإلى هنا لاتريد السيدة الفاضلة أن تقف طويلا .. بل تخطت هذا كله إلى موقف الكنيسة .. فهى (من الناحية النظرية) تدعو إلى العفة وطهارة النفوس والأبدان .. ولكن بحسب كل من الفاعل والفاعلة أن يعترف بالخطيئة للقس حتى يقيم للمعترف صلاة أو صلاتين .. وبهذا يكون خلاص النفس مما وقعت فيه من الإثم .. ويستعيد البدن طهارته مما تردى فيه من فوضى البهيمية!!

لم تقتنع السيدة فاطمة بما تدعيه الكنيسة من قدرة على الغفران، ودمغتها بأن سلوكها هذا له دوافع من المصلحة الخاصة .. للإبقاء على سلطان هذا الهيكل الجاثم فوق مجتمع يظن أنه يتبع دينا سماويا .. فكرهت هذا الأمر وقالت بأنها فقدت إيمانها بالكنيسة وخاب رجاؤها ..بعد أن ظنت أنها المنقذ من ضلالة الإلحاد وقد فرضت عليها تعاليم منذ أن كانت فى الحادية عشرة من عمرها (سنة ١٩٤٥) وقد احتلت القوات الروسية شرق المانيا .. فلا الإلحاد أرضاها ولا الكنيسة ارتفعت إلى المستوى الذى ظنته للقائمين على رسالات السماء.. وكان لقاؤها مع رجل ألمانى اعتنق الإسلام ، وهى فى الثالثة والعشرين ، خاتمة المطاف فى مراحل البحث ، كما كان هذا اللقاء أول الطريق إلى الدين الحق .. وهذا كله مبسوط بين يديك فى موضعه.. ولكننا هنا سنقف عند أمر لم تعرض له السيدة ، وفيه أصل هذا الفساد الذى غرق فيه أدعياء المقدرة على محو

السيئات وتبرئة ساحة المرتكبين لأكبر الكبائر.. وذلك أن إقامة الصلاة لمحو الخطيئة لها أصل لاينتسب إلى النصرانية بسبب على الإطلاق.. ونريد هنا بالنصرانية .. التعاليم الصحيحة التى جاء بها السيد المسيح وعرفناها من القرآن الكريم ..

أما هذه الإضافات التى جاء بها تجار صكوك الغفران وصلوات البراءة من الخطيئة.. فهى من النصرانية الرومية التى ابتدعها المحترفون للهداية بوصفها مهنة، وكل ذلك من وقت مبكر .. منذ أن وصل بعض أتباع السيد المسيح إلى روما بعد رفعه إلى السماء . هنالك دعا هؤلاء الأتباع أهل روما إلى اعتناق النصرانية .. فما تنصر الروم ولكن النصارى ترومّوا[1] ومنذ ذلك العهد .. ودين الأمم الغربية لا ينتمى إلى المسيح .. بل هو نصرانية رومية .. وفيها فرق ومذاهب وكنائس وأناجيل إلى آخر ما هو مشهور عند الباحثين .

ولكن الذى يعنينا فى موقف السيدة فاطمة التى حكمت بفطرتها السليمة .. بما حكمت به على الكنيسة .. أن التقاليد المتبعة عند العابدين والعابدات ، الزاهدين فى الدنيا الواهبين أنفسهم للمخلّص .. هى الأصل فى هذا الفسق الشامل الذى ترددت فيه أمم كثيرة فى الغرب وفى الشرق .. يقول القاضى عبد الجبار ما يلى بالنص : «ومثل صنيع بولص مع الروم فى مساعدتهم على دينهم ومفارقة دين المسيح ، صنع (مانى) القس ، وهو رئيس المثانية» ثم يقول فى موضع تال :«وكان يكتب من مانى عبد اليسوع ..كما كان بولص يكتب ، وكان يتشبه به ويقفو أثره » ثم يقول أيضا : «ومن سيرتهم أن النساء الديرانيات العابدات ومن انقطع إلى البِيَع والعبادة .. يطفن على العزاب والرهبان ويخرجن إلى الحصون التى فيها الرجال العزاب .. يبحن لهم أنفسهن ابتغاء وجه الله والآخرة والرحمة بالعزاب ، ومن فعل هذا منهن كان عندهم مشكورا محمودا على هذا الفعل ويدعى له، ويقال لها: لاينسى لك المسيح هذه الرأفة والرحمة»[2] ؟

(١) هذه العبارة مستفادة من كتاب تثبيت دلائل النبوة للقاضى عبد الجبار بن أحمد الهمزانى (المتوفى سنة ٤١٥)، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان (الجزء الأول).

(٢) المرجع السابق من صفحة ١٦٩ إلى صفحة ١٧١.



انتشر هذا الفساد فى روما وما حولها كما انتشر فى الشرق الأوسط إلى بلاد الفرس.. على تفصيل يجده الباحث فى مظانه.. ولقد افتن كل من العابدين والعابدات.. حتى قادهم الشيطان إلى الربط بين عقيدة التثليث وبين هذا التدلى إلى أسفل سافلين.. وذلك أن بعض العمالقة الشرهين من العابدين كان يختص نفسه بثلاث من العابدات.. ويوهمهن بأن هذا الارتباط الجنسى الثلاثى هو من قبيل تجسيد العقيدة فى فعل ملموس .. وأن البركة مضاعفة والثواب أعظم!!

كتب باحث بريطانى طرفا من المخازى التى تكشفت عند إعادة تخطيط بعض المواقع فى أوروبا فى أول العهد بالثورة الصناعية.. وظهرت رواسب هذا النشاط الجنسى فى قلب أوروبا(١) ومن ذلك فى فرنسا لعهد نابليون حين وجد المنقبون - عن غير قصد - عظام الأطفال الذين كانوا يوءدون حال الولادة فى الأديرة.. إذ الأمهات مشغولات بالعبادة.. والآباء لا يعنيهم من أمر الاتصال الجنسى إلا فعل البهائم.. ثم إن القضية كلها محفوفة بسر من أسرار البركات.. التى قصد بها وجه الله والآخرة على نحو ما تقدم ذكره.. فلا عجب أن جاء القرن التاسع عشر.. وفيه اندفاع إلى تشغيل الجنسين وإلى مزيد من الاختلاط.. لاعجب أن أفلت الزمام حتى عم اليأس.. وسلمت الكنيسة بما سلمت به مستندة إلى التقاليد الثابتة وراضخة للأمر الواقع.. وإلا فإن الكنيسة التى لا تمنح البراءة من الذنب .. أو التى تعجز عن محو الخطيئة بعد ممارسة الاتصال الجنسى .. هذه الكنيسة العاجزة تفقد علة وجودها ومن ثم يفقد رجالها أرزاقهم .. والحق أن دعوى الدخول فى التجارب العملية بقصد ضمان الانسجام .. ليست أسوأ من دعوى الرحمة وابتغاء وجه الله والآخرة فيما عمد إليه العابدون والعابدات من القرون الأولى للنصرانية الرومية .. !!

وإنما قصدت بهذا التعقيب الوجيز على عبارة واحدة من كلام السيدة فاطمة هيرين.. أن أنبه الشباب المسلم إلى خطورة التقدمية التى يريدونها صورة من مجتمعات الكفار.. كما قصدت إلى نفى هذا الفساد عن رسالة السيد المسيح .. وما كانت هذه الرذائل

(١) راجع كتاب «الطلاق» لمؤلفه كيتشن "Divorce by Kitchen".

المدسوسة على دين سماوى .. إلا «رومية فى نشأتها وفرقها .. وفى كنائسها .. وإذ يرتد كل هذا الفساد إلى أصله الرومى فإن منطق الأحداث يكون مفهوما ».

وعلى الرغم من هذه الإطالة فى الكلام عن القصة الأولى بقى أمر جدير بالذكر.. ذلك أن الزوجين (فاطمة وزوجها) وجدا أن المعيشة فى وطنهما تفرض عليهما بعض التنازلات والمضايقات.. وهذا قول مهم ينبهنا إلى أخطار يتعرض لها الشباب المسلم إذ يغترب ويعيش فى أوساط لا تؤمن بالدين الحق .. كما كانت معيشة هذين الزوجين شاقة فى بلدهما (ألمانيا) ولذلك هاجرا إلى الباكستان ..

●●●

وعند القصة التالية .. للسيد حسين رؤوف .. سيقف القارئ مرة بعد أخرى ليرى كيف يكون البحث الجاد من أجل التمييز بين الجوهر الأصيل وبين الزيف الكاذب.. لقد درس بعض المذاهب النصرانية ودرس الفلسفات والبوذية وغير ذلك.. وترك الإسلام جانبا على الرغم من أنه عاش فى الشرق وخالط العرب والمسلمين .. ثم يثير من عنده هذا التساؤل..لأنه يعلم أن القارئ يريد عنه جوابا: كيف درس الكثير من الملل والنحل وترك الإسلام حتى جاء اهتمامه به مصادفة؟.. قال السيد حسين رؤوف بأنه اكتفى فى أول الأمر بنظرة عابرة إلى الإسلام.. ثم تركه جانبا.. وقال بأن السبب هو أنه قرأ القرآن بقلم الكاتب رودويل RODWELL!! وترك القارئ ليفهم ما يشاء ..وهذه مقالة حق نطق بها السيد حسين رؤوف أثابه الله ..

إن القرآن الكريم قد امتدت إليه أيدى العابثين الأدعياء ونقلوه أو ترجموه نصا كما يزعمون.. أو نقلوا معانيه كما يدعى المرجفون.. ومن نتاج عصرنا هذا قول جديد.. قال قائل منهم إننا نترجم التفسير ولا نترجم القرآن.. واشترط بعض الناس أن يبلغ التفسير ثلاثة أمثال النص حتى تكون الترجمة جائزة!! ولقد بلغت التراجم ما يزيد على مائتين بعشرات اللغات.. وهى فى الإنجليزية وحدها تزيد على خمسين.. وما رأيت جرأة على كتاب الله كهذه الجرأة.. يستوى فى ذلك أن يكون النقل عن النص العربى أو عن ترجمة سابقة إلى لغة أخرى.. ويستوى فى ذلك أن يكون النقل بالنص أو بالمعنى وأن يكون

الناقل كافرا أو غير كافر.. فهذا كله اعتداء على كلام الله وحجب لما فيه من صور الإعجاز وما تفرد به من الحق.. ولايتسع المجال لأكثر من هذه الإشارة.. إن هى إلا تحية إلى أخ فى الله.. اعتنق الإسلام حديثا ويصارحنا بأنه ما أبطأ به السعى إلى الدين الحق إلا أنه قرأ كتاب رودويل..

وسيجد القارئ فى قصة تالية ، أن السيد «وليم بيرشيل بشير بيكارد» قد تأثر بترجمة فرنسية .. وجهته إلى مزيد من البحث .. ومثل هذه الحالات لاتنقض الذى قرره السيد حسين رؤوف ..بل تؤيده .. فلو أن المسلمين عرضوا تعاليم الاسلام وأحكامه ونظمه وآدابه وتاريخه بكل لغة مقروءة .. لأفادوا الباحثين عن الهداية وقربوا إليهم من المفاهيم ما يحبب إليهم الاستماع إلى كلام الله جل شأنه ، ومن ثم يكون انتشار لغة القرآن .. وفى هذا تفصيل تحدث فيه السلف الصالح ومنهم الإمام الشافعى .. رضى الله عنه .. فلينظر إذن قارئ هذه الفصول إلى مثل هذه المواقف التى يمر بها الدارسون للأديان طلبا للهداية .

●●●

ثم تتتابع نظرات هؤلاء المهتدين .. ولكل منهم نظرة فاحصة ، وفيها خير كثير .. يقول اللورد هيدلى - الذى اعتنق الاسلام وهو فى الثامنة والخمسين من العمر - بأن النصرانى مطالب بأن يفكر بعقيدة التثليث.. هذا إن أراد الخلاص .. فإن ناقش فى ذلك فهو مهدد باللعنة الأبدية .. ولقد فطن اللورد هيدلى إلى ضعف هذا القول الذى يستند للتهديد وحده ويتساءل عن هذا الإله الذى يهتز فى وجوده أو فى حقيقته لمجرد إنكار مبدأ التثليث؟ ولذلك ينتقم ممن يناقشه مجرد مناقشة .. ومن أهم أقواله إن جمًّا غفيراً من الناس قد أسلموا لله فى أعماق نفوسهم، ولكنهم يخافون الجهر بما اهتدوا إليه.. وفى مثل هذا المعنى يقول أحمد شوقى:

«إن الشجاعة فى القلوب كثيرة

ورأيت شجعان العقول قليلا»

●●●

ومن خير ما قاله «محمد أسد »من النمسا.. أنه أدخل نفسه فى إطار فكرى من الإسلام الصحيح وجعل يوازن بين عظمة المسلمين فى عصورهم الزاهية.. وبين هوان الأجيال المتأخرة والمعاصرة .. ودرس وحلل .. ثم انتهى إلى أن هذا الهوان لم يكن إلا نتيجة لهجر المسلمين أصول دينهم وتطبيقاته .. حتى عاد الإسلام التقدمى المعاصر جسدا بغير روح .. والحق أننا نعترض على كل قول يشير إلى التقدم والتطوير فى شريعة الله جل شأنه لعلها تساير العصر كما يزعمون .. نعترض على كل قول من هذا القبيل ونراه ضلالاً مبيناً.. لأن الإسلام قد جاء كاملا ومصدره مفارق لقدرات البشر.. وكل محاولة للتقدمية فى هذا المجال لا تصدر إلا عن جهالة أو حرب على دين الله.

•••

ومن خير ما قاله « عبد الله ارشيبالد هاملتون » أنه عاش من أجل أمنية واحدة.. هى أن يحقق السلام بين شخصه الضعيف الفانى وبين خالقه الذى آمن به وهو لايزال فى أول الشباب.. وقد سعى جهده واتبع كلا من الكنيسة الإنجليزية وكنيسة روما دون جدوى.. ثم لفت نظره إلى الإسلام أمور منها أنه ثابت على الزمان رغم الهجوم والطعن.. حقداً وحسداً.. وأنه يعترف لصاحب التفوق بحقه فى ثمرة هذا التفوق ويحرص على تنظيم التراحم بين الناس ويجعل الكسب اجتهادا وبذلا وتضحية.. ولا يقر الغرر والصدفة كما فى القمار واليانصيب..

•••

وإذا رجعنا مرة أخرى إلى فضليات النساء اللاتى اعتنقن الإسلام عن دراسة واقتناع فسنجد اثنتين من اليابان ، وهما ابنتان لوالد سبقهما إلى الإسلام.. ولكنهما لم يتابعا أباهما تقليدا.. بل قلّبا الامر على وجوهه وانصرفت عنايتهما إلى حقوق المرأة فى هذا الدين الخاتم.. وقد قيل لهما من قبل (افتراء على الله) بأن الإسلام لايسوى بين الرجال والنساء.. وإذا بآية واحدة من سورة الأحزاب تكشف لهما ما يروّجه خصوم الإسلام من مفتريات .



ويقول دونالد ركويل (الأمريكى) بأن الإسلام ملك عليه نفسه لتفرده بالخصائص الكبرى .. ومنها : بساطة العقيدة ووضوحها فلا ألغاز ولا تعقيدات ولا أسرار .. ومنها قرب المخلوق من الخالق فلا وساطة ولاكهانة .. وقد ركز القول على أمر له خطورته .. حين تساءل: كيف يمنح العبد العاجز ما يشاء من بركة ومغفرة ، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا خيراً ؟.. واشتد إعجابه بنظام الزكاة وما فيه من تكافل .

•••

وهذه سيدة من تشيكوسلوفاكيا اسمها فاطمة تزفسكن.. تواجه قضية اختيار الدين الصحيح بأسلوب حكيم.. تقول بحسب الباحث أن يواجه سؤالاً واحداً.. مواجهة علمية صريحة ومنصفة.. وإذا به يتخذ القرار الصواب.. أما هذا السؤال فهو: أكان النبى (عليه الصلاة والسلام) مفكراً أو فيلسوفاً يجئ بهذا الدين من عنده، أم كان عبداً اختاره الله ليتلقى الوحى من لدن رب العباد ؟

وأشارت بدورها إلى المفارقة الخطيرة بين واقع المسلمين وعظمة الدين الذى يدعون اتباعه.. ونعت على مسلمى هذا الزمان أن وسائلهم للتعريف بالدين هى وسائل عاجزة.. وزادت أن المسلمين أنفسهم فى حاجة إلى من يوضح لهم أمور دينهم.. ونبهت إلى أن الأمة الإسلامية تعيش اليوم فى ظل اخلاط من الثقافات، وإن صد المؤثرات الغريبة عن تراثهم واجب مقدم على غيره.. ودعت إلى الإكثار من المراكز الإسلامية فى كل أرض، حتى يجد النفر القليل الذى يعتنق الإسلام فى هذه البيئات الغريبة واحة يأوى إليها من ضاق بالجو الخانق الذى يحيط به.

ومما قالته إنها تحسن الظن بسلامة العقيدة عند جماعات المسلمين ولذلك هى مطمئنة إلى أن صرح هذه الأمة سيظل عالياً وإن تكاثرت عليه عوامل الضعف والوهن.. وهذا قول له خطورته.. ونريد أن نحمله على التمنى أو الدعاء.. وحسب، وإلا فنحن نرى أن العقيدة إن صحت وسلمت من كل زيغ وانحراف، فإن السلوك الظاهر والسلوك الباطن لا يخرجان عن إطار الشريعة.. وترتب على ذلك أن الخطوة الأولى، حين يأذن الله جل شأنه بصلاح حال المسلمين، هى تركيز العقيدة وتثبيتها فى وضوح واستقامة.

•••

ومن أفراد هذا الجمع الصالح رجل ولد فى بيت إنجليزى هندى إبان الحكم البريطانى للهند.. وتلقى تعليمه فى مدارس التبشير حيث كانت دراسة الدين إجبارية.. وقد اتبع هذا الباحث أسلوب الموازنة بين نص وآخر.. كما ربط بين القواعد التى يدعو الإنجيل إلى الأخذ بها وبين النتائج الحتمية.. وفى هذا يقول «لو أن المستمسكين بالنصرانية طبقوا تعاليم الإنجيل فى عموم.. لقضوا على الحضارة» ويقول فى موضع آخر «أن هذه التعاليم لا تناسب البشر فى نشاطهم الدائب.. وقد تصلح لناسك منقطع عن الدنيا، ولكن لو أرادت حكومة معاصرة أن تسن من القوانين الوضعية نظاماً يقع فى إطار هذه التعاليم لا نقلبت الحياة فوضى وغلب الشر وغاض الحياء والخير جميعاً.. ولو أن أمة من الأمم ارتضت هذه التعاليم، اختيارا، والتزمت تطبيقها لوصلت إلى النتيجة ذاتها»..

لذلك ضاق هذا الباحث بقواعد وبنصوص لا تصلح للتطبيق.. كما ضاق بما هو شائع فى العالم النصرانى، من الفصل بين الدين فى ناحية وكل من السياسة والعلم فى ناحية أخرى، مما أدى إلى ظهور فلسفات بائرة كفلسفة (ميكيافيلى).. وظهور مذاهب ليس لها ضابط.. مما دمغ القرون الأخيرة بإنها عصور تزاحمت فيها الفلسفات والأفكار والآراء فى جميع النظم.. ما كان منها فى الاجتماع والحكم والسياسة والاقتصاد والأسرة والتربية.. إلى آخر ما يتعين توافره فى شمول وثبات لكى يصل المجتمع البشرى إلى شىء من الاستقرار.. ثم إنه يورد نصوصاً من بعض الأناجيل تحض النصرانى على أن يكون له سيف.. كناية عن القوة والغلبة، ثم يستطرد ليقول: بأن السيد المسيح لم يعلم أتباعه.. حتى ولا كيف يستخدمون هذا السيف!!

ويترقى الباحث فى مدارج التحليل الدقيق حين يقول: وهكذا أدت هذه التعاليم التى تجمع بين الغموض والتعارض والنقص إلى أن النصرانى أصبح يجد دافعاً من الخلافات المادية الزائلة لكى يبطش بأخيه النصرانى.. ووجدت الكنيسة ألف حجة وحجة لتبرير قتل الأبرياء من الشعوب النصرانية بأسلحة النصارى أنفسهم.. وأصبحت الكنيسة أداة فى أيدى المستعمرين الذين يتجرون بما فى الأرض من طيّبات وبما عليها من الناس.. ثم يضرب الأمثال.. ويقول بأن الكنيسة التى تقوم أساساً على بث الرحمة والتعاطف.. أيدت الغزاة فى إبادة الشعوب الآمنة فى كل أرض امتدت إليها أنظار المغامرين..

وزحفت جيوش الأمم النصرانية على الكثير من شعوب آسيا وأفريقيا ونيوزيلندا وأمريكا الشمالية واستراليا.. فأبادت السكان الأصليين.. فإن بقيت منهم جماعات لا حول لها ولا قوة.. حصرتهم فى الوهاد والجبال والصحارى.. يقول الباحث: هكذا كانت حال الكنيسة فى الأجيال التى مضت.. وهكذا حالها اليوم..

وتأبى النفس الزكية لهذا السيد (بيجى رودريك) أن ينسب إلى أى دين سماوى هذا الطغيان الهمجى.. ثم يقول بأن نقطة التحول فى حياته الخاصة جاءت حين أسقطت الولايات المتحدة قنبلتين من القنابل الذرية على الشعب المدنى الآمن فى اليابان.. ويقول بأنه تابع هذه المأساة وحرص على جمع الإحصاءات عن الوفيات والمشوهين، وأكثر من الإطلاع على تفصيلات الوصف الذى نشر عن هذا السلاح الجهنمى.. وما انتشر بسببه من المآسى التى حصدت النفوس تدريجاً، وأنزلت بأقوام أبرياء عذاباً ليس له ضريب.. ثم يقول بأن جرائم الجيش الأمريكى فى اليابان كانت مادة الدراسة والتأمل فى حياته الخاصة.. وفى عديد من الليالى.. حتى امتلأت نفسه بالفزع مما وصلت إليه جرائم البشر.. وينتقل الباحث مرة أخرى إلى مستويات رفيعة من دقة التحليل والإنصاف حين يتابع جهود شعب متحضر حضارة مادية مذهلة ومتمسك - فيما يزعم - بدين السيد المسيح، ويوازن بين سلوك هذا الشعب وبين تعاليم الدين السمح.. ويقف عند أمور بالغة الدلالة.. ويقول بأنه بعد هذا العذاب الذى أنزلته الولايات المتحدة بالشعب اليابانى أطلقت عليه جموعاً غفيرة من العسكريين ومن المبشرين.. لاحتلال الأرض والموارد والنفوس جميعاً.. وتعلقت آمال الساسة بأن تؤدى هذه الخطة إلى تنصير عدد كبير من سكان اليابان، ليكونوا عوناً على تدعيم الاحتلال!!

ثم يعود الباحث إلى نظراته الهادئة العميقة ليقرر بأنه إذ يخلو إلى نفسه، فإنه يسترجع الذى سمع وقرأ عن المجتمعات غير النصرانية.. ومنها عبدة الأوثان.. ويسترجع الوصف التقليدى لكل شعب لا يتّبع كنائس هذا الزمان.. بأنه شعب من الكفار.. ثم يوازن بين الذى سمع وقرأ، وبين واقع الحال الذى رآه رأى العين.. فإذا به يجد من التراحم والإنسانية فى أوساط الوثنيين، ما لا يجده عن الأمم المتحضرة المقتدرة.. التى تنتمى ظلماً إلى دين جاء بالفضيلة وبالتسامح!!

وفى غمار هذه الدراسات الواعية، التقى بصديق مسلم يفهم دينه، فكانت النقطة الثانية والأخيرة من نقاط التحول عن الظلام والحيرة والفزع.. إلى الرجاء ومن بعده الإيمان.. وفى حديث هذا العبد الصالح عن الإسلام رصانة فى غير وعورة.. يقول بأنه مما أعجبه فى هذا الدين أنه يجمع بين المثالية والواقعية، وأن الفرد يستطيع أن يكون عابداً ومقبولاً عند الله.. دون أن يتكلف الحرمان عن عمد من متاع الحياة الدنيا فى إطار دقيق من التقنين والتنظيم.. وأن الفرد من عامة الناس كالفرد من أصحاب السلطان وحملة الأمانات.. فالكل يلتزم بمجموعة من القواعد لا تحيد.. وقال بأنه لا أثر فى الإسلام للكهانة والكهنوت وامتيازات من يقال لهم فى غير الإسلام بأنهم رجال الدين.. وأنه لا فصل بين الأولى والآخرة.. وأن المسلمين يحرصون على إقامة العدل فى أرضهم وفى المعاملات الدولية.. ثم يقول بأنه.. والحالة هذه.. لا يبقى مجال للتمييز العنصرى ولا لحروب البطش والاستغلال والاستعمار.. كما أنه لا يبقى مجال للصراع الطبقى وإثارة بعض الناس على بعض آخر.. فى داخل الأمة الواحدة وفى شمول وعموم للشعوب قاطبة.. ولم يغفل هذا الباحث عن بعض القواعد الخاصة الثابتة فى التراث الخالد.. فضرب مثلا من قوانين الحرب كما أقرها الإسلام.. ووازن بين ما فيها من ضوابط وشهامة وإنسانية وترفع عن إيذاء الضعيف والمرأة والعابد وطالب الأمان.. هذا من جهة.. وبين وحشية قوانين الحروب المتبعة عند أكثر البلاد حضارة كما يظن الواهمون.. وتكلم عن تدمير المستشفيات وضرب المعابد لتوهين عزيمة المدنيين غير المشتركين فى القتال.. وفى هذا المجال إضافات يندى لها جبين الزمان.. لما حمل من أوضار البشر وذنوبه.. فمع انتشار الحروب الصغيرة والكبيرة استجدت تقاليد.. من الانحلال الخلقى إلى إنطلاق الغرائز الدنيا.. فهذا تنظيم للتجسس وتخريب الذمم قبل الصراع وفى إبانه ومن بعده.. وهذا تنظيم للبغاء العلنى الرسمى على نطاق واسع فى صفوف المقاتلين.. تحت ستار مفضوح.. يقال له الترفيه!!

وفى آخر المطاف.. رفع الباحث نظره إلى طائفة من القمم الشامخات فى تعاليم هذا الدين المتين.. وهى فى مكانها من فوق أصول راسخات.. فتكلم عن الأخوة فى الإسلام وعن معايير التفاضل على أسس من النفع لكل الناس.. وتكلم عن أنه لا إكراه فى الدين..

●●●

وبعد: فقد آن للقارئ أن يستمع إلى أصول هذه الخلجان الزكية فى نفوس مطهرة مؤمنة.. بعد أن طال استماعه إلى أصداء تجاويت فى نفس قارئ واحد أتيح له أن يجلس ساعة من الزمان إلى هؤلاء المصدّقين بيوم الدين.

وأنه ليطيب لكل غيور على الإسلام أن ينظر إلى جملة هذه الباقة من الأفكار المستنيرة، وأن يرى فيها توصيات عامة شاملة.. هى التى أشرت إليها فى أول الحديث.. ومن ذلك أمور تكرر ذكرها وخرجت من نطاق الاهتمام الشخصى للفرد إلى الحرص على نشر الهداية فى أوسع المجالات.. وأخص هذه الأمور:

- عجز الأساليب المتبعة فى الدعوة إلى الإسلام.. على الرغم من مواجهتها لأكثر الجهود تنظيماً وسخاء من عند المبشرين ومن يؤيدهم.
- حاجة البلاد المتقدمة فى الفنون والصناعات إلى منهج قويم لا يعطل مواكب الإبداع والإتقان.. ولا يتركها طليقة من قيود الفضيلة والتراحم والإنسانية.
- ضرورة النظر فى حاضر المسلمين وبُعده عن الإسلام الصحيح.. ووضع حد لهذه الحالة التى أنزلت بالأمة عوامل الفرقة والفشل، حتى أصبحت جماعات المسلمين تبعاً لطواغيت البشر.. من الفراعنة ومن المفسدين فى الأرض!!
- خطورة الفصل بين أحكام الدين والنشاط الدنيوى وضرورة الانتباه إلى الحق الذى طال إغفاله.. وهو أن الرسالة الخاتمة قد جاءت مهيمنة على كل رسالة سابقة، وجاءت بصائر للناس فى يقظتهم وفى منامهم.. فى أمورهم الخاصة وعلاقة بعضهم ببعض، فى أضيق الدوائر كالأسرة الواحدة والجار بالجنب.. وفى أوسع الدوائر التى تشمل الأمة كما تشمل سائر الشعوب..

كما جاءت هذه الرسالة بصائر للناس فى أمور المعاش والمعاد جميعاً.. يوم يقوم الناس لرب العالمين..

وما قصدت إلى الاحاطة ولا التّوفية.. إن هى إلا تذكرة.. بين يدى الأصول التى فاضت بها نفوس زاكية طاهرة.

عيسى عبده

ألمانيا:

١٥- فاطمة هيرين Fatima Heeren

هذه قصة فتاة ألمانية اعتنقت الإسلام بعد أن عاشت فى ظل البلاد الشيوعية الملحدة، ثم انتقلت إلى الكنيسة النصرانية فلم تقتنع فطرتها السليمة بالطقوس الدينية النصرانية المعقدة، فما كان منها إلا أن اهتدت إلى الإسلام، وتزوجت من رجل ألمانى مُسلم، وفيما يلى تفاصيل قصتها كما ترويها هى مترجمة عن مجلة «مسلم أفريكا» الصادرة فى جوهانسبرج - جنوب أفريقيا العدد الأول المجلد الأول - ديسمبر ١٩٦٧م.

المترجم

البداية:

عندما انتهت الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٤٥ كنت طالبة فى الحادية عشرة من عمرى، وكان والداى ينشئان أبناءهما - وهم ابنتان وولدان - وفق المثل الاشتراكية القومية وهذا أمر طبيعى إذ كان والدى قائداً فى الجيش. ومن ثم كانت لدينا فكرة عن وجود الله، ولكنه كان بالنسبة إلينا شيئاً نائيا للغاية، أعظم بكثير من أن يهتم بأمر الناس وشئونهم اليومية، كان الله فى مخيلتنا شخصاً خلق سنن الطبيعة منذ ملايين السنين، وهذه القوانين أوجدت بدورها الكائنات البشرية بمحض الصدفة فى أغلب الظن.

مُثل زائفة:

كانت النصرانية العقيدة الوحيدة التى واجهتنا فى الحقيقة. وكانت تقدم لنا على أنها «أفيون الشعوب» وأنها عقيدة قطيع الغنم لا تتحرك إلا بالخشية من الموت. وكنا نفهم أن كل إنسان مسئول عن نفسه وحسب، وأنه حر التصرف بها كيفما يشاء مادام ذلك لا يؤذى الآخرين. وكنا نتصور أن الضمير هو النبراس الوحيد الذى يهدينا. وكانت القومية خلال السنوات التى سبقت الحرب وفى أثنائها وسيلة ممتازة لدفع الألمان وتشجيعهم إلى بذل أقصى الجهود. فكان همنا الوحيد الذى نسير قدما فى بذل مهجنا الغالية من أجله

هو الوطن الأم. وعندما وضعت الحرب أوزارها لم تمزق بلادنا فحسب وإنما تبعثرت عظمة أمتنا وتبددت كافة المثل التى كانت تبذل الأرواح من أجلها.

وأحسب أن من الضرورى أن أصف الجو السائد فى البلاد التى انحدرت منها. كثير من الناس لا يسعدون مثلى بطريقة المجتمع الحديث لكنهم مع ذلك يزعمون أنهم سعداء، وعندما يفيقون بعد ليلة بهيجة يقضونها فى الرقص والسكر فإنهم يشعرون بفراغ يملأ صدورهم ولا سبيل إلى مغالبته بتعليل النفس بمزيد من الرقص والشراب أو المغازلة فى الأمسيات التالية. لقد أيقنت أن الضمير الفردى والمثل الإنسانية المتعارف عليها فى المجتمع لا تكفى وحدها لتكون مشاعل هداية اهتدى بها فى حياتى. فلم أكن أحس بالسعادة الحقة وأنا أتمتع بالنعيم الميسور لى من غير أن أوجه الشكر لأحد على كل هذا الخير الذى شملنى. فاحتفظت بدفتر لتسجيل مذكراتى اليومية ووجدتنى مرة أسجل فيه العبارة التالية: «لقد كان يوما بهيجاً فشكراً لك كثيرا يا رب!».

وأحسست فى مبدأ الأمر بالخجل بينى وبين نفسى، لكنى أيقنت بعد ذلك أنه لا يكفينى مجرد الإيمان بإله لا يهتم إلا بنواميس الطبيعة، فتوقد حب الله فى نفسى، وكنت أهتف باسم الله، حتى علمت أن من واجبى أن أعمل على التماسه وأن أبحث عن سبيل إلى شكره وعبادته.

كَنِيسَةٌ مُتَهَاوِنَةٌ مُسَاوِمَةٌ:

كان السبيل الوحيد إلى تلك الغاية فى ذلك الحين مقتصراً على العقيدة النصرانية، فأخذت أحضر دروساً لدى أحد القسس وقرأت بعض الكتب النصرانية كما حضرت صلوات فى الكنيسة، ولكنى لم أستطع أن ازدد من الله قرباً، فأشار القسيس علىّ أن أعتنق النصرانية وأن أذهب إلى العشاء الربانى، وقال: لأنك حين تمارسين الديانة النصرانية فسوف تعثرين على سبيلك إلى الله بكل تأكيد، فاتبعت مشورته ولكنى لم أوفق فى تحقيق السلام الحقيقى لعقلى، وأبلغ شىء أدى إلى تثبيط عزيمتى هو أنه لا مناص لنا نحن النصارى من الرضا بتنازلات فى عقيدتنا من أجل أن نحيا فى مجتمعنا، فالكنيسة على استعداد دائم لعمل مساومات فى سبيل المحافظة على

سلطانها في مجتمعنا، ولنضرب لذلك مثالاً واحداً: تقول الكنيسة إن العلاقات الجنسية يجب ألا تبدأ إلا بعد الزواج على اسم الله، إلا أنه يكاد لا يوجد أحد من الرجال أو النساء في الغرب (يرضى بشراء القطة في حقيبتها)، وهذا مثل دارج معناه أن يدخل المرء الحياة الزوجية دون أن يجرب قبل ذلك مدى انسجام الشريكين جنسياً مع بعضهما البعض. والقسيس على استعداد دائم لتبرئة ساحة كل من يعترف بهذه الخطيئة حال أداء صلاة أو صلاتين. لم يكن بوسعي أبداً أن أؤمن بكنيسة تتهاون بهذه المسائل المهمة إلى هذا الحد، بل كنت أتطلع إلى مبدأ كامل حقاً أعتصم به كصراط لحياتي. وبهذه الشكوك لم أستطع أن أقترب من الله حتى في وقت ركوعي في الكنيسة.

وكنت في الثالثة والعشرين من عمري حين قابلت لأول مرة الرجل الذي كان من المقدر له أن يكون زوجي بعد سنتين من ذلك الحين، وكان رجلاً عادياً لا فرق بينه وبين أي رجل ألماني آخر إلا أنه عندما أخبرني بأنه اعتنق الإسلام قبل سبع سنوات دهشت إلى درجة كبيرة، جعلتني أتلهف لمعرفة السبب الذي من أجله اختار رجل مثقف مثله هذا السبيل، وهو حاصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة.

ما هو الإسلام..؟

أخذ زوجي يشرح لي معنى الإسلام فقال: بأن الله ليس رب المسلمين وحدهم، وإنما هذه الكلمة «الله» ترادف معنى «الألوهية» عندنا، وأن المسلمين يؤمنون بوحدانية الخالق المطلقة وأنهم لا يعبدون نبيهم محمداً - عليه الصلاة والسلام - مثلما يفعل النصارى إذ يعبدون المسيح عيسى، وأن كلمة «الإسلام» معناها الإذعان الكامل لله الواحد الأحد، وقال لي: إن جميع الكائنات من أناسي وحيوانات وغيرها هو مسلم بالضرورة من وجهة النظر الإسلامية، بمعنى أنهم لابد أن يذعنوا ويسلموا لنواميس الله، فإن لم يفعلوا فهم مهددون بالفناء، وأضاف قائلاً: إن الإنسان وحده بصرف النظر عن إسلام بدنه طوعاً أو كرهاً، قد رزقه الله حرية الإرادة والاختيار ليقرر ما إذا كان يريد أن يكون مسلماً في حياته الروحية والبدنية على السواء، فإن فعل ذلك وعاش وفق ما ينص عليه هذا القرآن فإنه حينئذ يتصل بالله، وسيجد مع المخلوقات الأخرى الانسجام



والسلام النفسى فى الحياة الدنيا، كما سيلقى السعادة فى الدار الآخرة، أما إذا تمرد على سنن الله المبينة لنا بجلاء وروعة لا مثيل لها فى القرآن الكريم فإنه خاسر فى هذه الحياة الدنيا وفى الآخرة، وتعلمت من زوجى كذلك أن الإسلام ليس بالدين الجديد، إذ أن القرآن فى الحقيقة هو الكتاب الوحيد المنزه من كل زيغ أو شائبة، وهو آخر كتاب سماوى ضمن سلسلة طويلة من الكتب أبرزها الوحى المنزل فى التوراة والإنجيل.

وهكذا أشرقت أمام ناظرى آفاق عالم جديد. فشرعت تحت توجيه زوجى بقراءة الكتب المعدودة المتوفرة عن الإسلام باللغة الألمانية، وأعنى بها الكتب المعدودة المتوفرة من وجهة النظر الإسلامية، وكان من أهمها كتاب محمد أسد (١) «الطريق إلى مكة» فقد كان مصدر إلهام كبير بالنسبة لى، وبعد زواجنا ببضعة أشهر تعلمت كيف أقيم الصلاة باللغة العربية، كما تعلمت كيف أصوم، ودرست القرآن الكريم كل ذلك قبل أن أعتنق الإسلام فى عام ١٩٦٠. وكنت أريد أن أستوثق من نفسى بأننى أستطيع أن أقوم بواجباتى الإسلامية. لقد ملأت حكمة القرآن نفسى بالحب والإعجاب، ولكن قرة عينى فى الصلاة فقد أحسست إحساساً قوياً أن الله معى وأنا أقف خاشعة بين يديه أرتل القرآن وأصلى.

الهجرة إلى باكستان:

لقد اتفقت مع زوجى أن معيشتنا كمسلمين فى بلد غربى تضطرنا إلى كثير من التنازلات. فليس الإسلام مجرد دين بالمفهوم الشائع، وإنما هو منهج حياة كامل لا يمكن تطبيقه فى أنقى صوره إلا فى مجتمع مسلم، ولما كان كل منا قد اختار هذا الدين عن طواعية كاملة فإننا لم نرد إسلاماً فاتراً ضعيفاً، لذلك وبعد انتظار طويل سنحت لنا فرصة فى عام ١٩٦٢ للهجرة إلى باكستان بعد أن وفرنا نقوداً تكفى لتغطية نفقات الرحلة (٢).

(١) انظر قصة إسلامه رقم (١٨) من هذا الكتاب.

(٢) علمت من الأستاذ غلام محمد - أمير الجماعة الإسلامية فرع كراتشى - أنها قد عادت مع زوجها إلى ميونيخ فى ألمانيا الغربية، وهى تعيش عيشة إسلامية بسيطة، وقد زارهما وسر أبلغ السرور، وزودنى بعنوانهما للمراسلة.

تطبيق الإسلام مع الرضا النفسي:

شرعت في إقامة الصلوات الخمس بانتظام. فتعلمت أن الصلاة ليست أمراً يؤدى كيفما اتفق، ولكنها في الحقيقة نظام لابد أن يصاغ اليوم كله على منواله، وقررت أن ألتزم الحجاب الإسلامي فتعلمت أن أرضى بالوضع الذي يجلس فيه زوجي مع إخوانه في الدين يتجاذب وإياهم أطراف الحديث النير، في الوقت الذي أعد لهم الشاي وأقدمه عند الباب دون أن أعرف الأشخاص الذين أعددت لهم ذلك، وبدلاً من الذهاب إلى الأسواق تعودت أن أمكث في البيت لمطالعة الكتب الإسلامية باللغة الإنجليزية، كما أخذت أصوم واعتدت أن أحضّر وجبات الطعام دون أن أذوقها رغم شدة الجوع والعطش في بعض الأحيان. وتعلمت أن أحب نبينا محمداً ﷺ وصحابته من خلال قراءتي لكتب الحديث النبوي الشريف. فقد أصبحوا في نظري شخصيات بشرية حية لا مجرد نماذج تاريخية معجبة، كما غدت أمثلة العطف والشجاعة والتفاني والصلاح التي ضربها هؤلاء الأولون في حياتهم البشرية نجوم هداية لي، فأصبح من الجليّ الواضح أمامي كيف أشكل حياتي بصورة تجعلني من الطيبين الراضين في هذه الحياة الدنيا، وهي المكان الذي يقرر سلوكنا فيه نوع الجزاء الذي سنلقاه في الدار الآخرة.

الرد على المتهجمين:

إذا كان المتحاملون على الإسلام يقولون بأن من الهمجية أن يتخذ الرجل الواحد لنفسه عدداً من الزوجات فهل لهم أن يبينوا لي الخير الكامن في تصرفاتهم عندما يتخذ الزوج لنفسه خليلات إلى جانب زوجته؟! وهو أمر شائع في الغرب بصورة تفوق انتشار زواج التعدد في الأقطار المسلمة، وإذا كانوا يزعمون أنه لا ضرر في تعاطيهم للكحول فهل لهم أن يفسروا سبب الشقاء الذي تحدثه هذه العادة في الغرب؟! وإذا كانوا يقولون بأن الصوم يضعف القوة العاملة والأحوال الصحية للأمة فليلقوا نظرة إلى المنجزات العظيمة التي حققها المؤمنون وخاصة في شهر رمضان المبارك [1].

وليقرأوا التقارير المهمة التي سجلها الأطباء المسلمون مؤخراً حول تجاربهم الطبية مع

(١) كانت كثير من معارك الإسلام الفاصلة في شهر رمضان كغزوة بدر الكبرى وغيرها.

المرضى الصائمين، فإن قالوا بأن فصل الجنسين عن بعضهما تأخرٌ فليقارنوا بين الشباب في أي بلد مسلم والشباب في أية أمة غربية، إذ أن الجريمة الخلقية بين الفتى والفتاة تعتبر استثناءً بين المسلمين، أما في أوساط الغربيين فمن النادر جداً أن تجد زواجاً واحداً بين فتى وفتاة عفيفين، وإن زعم المتحاملون على الإسلام أن إقامة خمس صلوات في كل يوم وليلة بلغة غير معروفة من قبل كثير من المؤمنين (١) يعتبر مضيعة للوقت وصرفاً للجهد في غير فائدة، فليبينوا لنا نظاماً واحداً في الغرب يوحد بين الناس بطريقة أقوى وأسلم للجسم والروح من الشعائر التعبدية بين المسلمين، دعهم يثبتوا أن الغربيين ينجزون أعمالاً أكثر فائدة في أوقات فراغهم من المسلم الذي يخصص ساعة كل يوم لإقامة الصلاة.

لقد صلح الإسلام منذ أربعة عشر قرناً أو يزيد ولا يزال كذلك في زمننا شريطة أن نحمله دون تنازلات مشوهة، فالدين عند الله الإسلام. والإسلام يعلو ولا يُعلى عليه، ولقد أيقن كثير من الناس بهذه الحقيقة في أيامنا هذه، وسوف يتعاونون إن شاء الله لبيانه للعالم المريض المعذب الشقي الذي يتطلع إليهم (٢) .

❁❁❁

(١) وتعني بذلك المسلمين من غير العرب الذين يقيمون الصلاة باللغة العربية وكثير منهم لا يعرفونها.

(٢) وبعد فهذه المرأة المسلمة الأخت فاطمة هي التي ترجمت بعض المؤلفات الإسلامية الحديثة إلى اللغة الألمانية إسهاماً منها في نقل الفكر الإسلامي إلى أبناء جلدتها الألمان، وقامت إحدى المنظمات الإسلامية العالمية مشكورة بطباعة تلك الكتب، لتوزع بين الألمان كنتاج لجهد مؤمنة كانت من قبل من النصارى. فسبحان الله.. وعجبا لدين الله الذي يغزو القلوب فيحول الأعداء إلى أحباء، ويستحيل به الخصوم الألداء إلى رجال ونساء مؤمنين ومؤمنات يحملون هذا الدين إلى الناس كافة.

إنجلترا:

١٦- حسين رؤوف Husain Rofe

هذه قصة إسلام رجل إنجليزى كان مصلحا اجتماعياً عاش فى أسرة أحد أركانها يهودى والآخر نصرانى، فأتيحت له بذلك المقارنة العملية بين الديانتين، ثم وجد ضالته المنشودة فى الإسلام.

عندما يقرر الناس اعتناق دين جديد غير الذى وضعتهم فيه ظروف الميلاد فإنهم يفعلون ذلك عادة على أساس عاطفى أو فلسفى أو اجتماعى، أما بالنسبة لى فقد كانت فطرتى تتطلع إلى عقيدة تلبى المطلبين الأخيرين، وكل ما عملته هو أننى قررت أن أدرس بدقة الدعاوى والكتب المقدسة والنتائج التى حققتها كافة الأديان الرئيسة فى العالم.

ولدت لأبوين يمثلان الديانتين اليهودية والكاثوليكية - وهى إحدى الطوائف النصرانية - ونشأت وسط تقاليد الكنيسة الإنجليزية فعرفتها جيدا خلال السنوات التى كنت أحضر فيها الطقوس الدينية التى تتميز بها الحياة اليومية فى المدارس الإنجليزية العامة، فشرعت فى سن مبكر أقابل وأقارن بين التعاليم والشعائر التعبدية فى الديانة اليهودية والديانة النصرانية، فدفعنى وجدانى إلى إنكار مذهب (التجسيد الإلهى) ومبدأ (الكفارة) الذى يمارسه القسس، كما أن عقلى لم يجد ضالته فى كثير من الفروض الإنجيلية ولم يرض بانعدام وجود عقيدة حية تقوم على المنطق، وهذا ما لاحظته فى التصور التقليدى للذات الإلهية فى أوساط الكنيسة الاعتيادية فى انجلترا النصرانية.

عقائد أخرى عجيبة:

وفى الديانة اليهودية وجدت تصوراً أكثر إجلالاً وتوقيراً للذات الإلهية مما هو فى الديانة النصرانية، مع أن هذا التصور يخالف ما جاء فى كتب الإنجيل. وقلت فى نفسى: هذه عقيدة تحتفظ بحظ وافر من صفائها ونقائها الأصليين (١)، فتعلمت منها

(١) عقيدة اليهود فى الذات الإلهية بالغة السوء، لأنهم قالوا: «عزيز ابن الله»، وقالوا: «يد الله مغلولة».. إلخ ولكنها لم تبلغ التعقيد والضلال المطلق الذى بلغته عقيدة النصارى؛ وهذا سبب المدح النسبى لليهودية هنا.

الشيء الكثير، ولكنى أنكرت الشيء الكثير كذلك، إذ أن اتِّباع القواعد والتعاليم اليهودية كلها لا يدع لك من الوقت إلا النزر اليسير لإنجاز الأعمال الدنيوية، ولا مفر للعقل من أن يتركز وينهمك فى شكليات وطقوس لا نهاية لها، وأسوأ من ذلك كله أن الديانة اليهودية جاءت من أجل فئة قليلة من البشر مما أدى ضمناً إلى إيجاد هوة بين الفئات الاجتماعية المختلفة.

لقد حضرت الصلاة فى الكنيسة الإنجليزية وشاركت فى الطقوس الدينية التى تقيمها المعابد اليهودية، إلا أننى لم أعتنق قط أيا من الديانتين المذكورتين، إذ وجدت فى الكاثوليكية الرومية كثيراً من الغموض وإخضاع العباد لسلطان العباد، كما تكشف لى كثير من الضعف الذى لا يليق بالمكانة التى أعطيت للبابا وحاشيته والتى تقترب من التقديس.

ومن هنا التفتُ إلى الفلسفة الهندوكية وخاصة إلى تعاليم (Upanishads) أو بانيشادز وفيدانتا (Vedanta) الأخيرة، وهنا تعلمت الكثير كذلك واحترمت الكثير وأنكرت الكثير كذلك، فلم أجد حلا للشرور الاجتماعية لدى فلسفة الهنادك، كما أن العقيدة الكهنوتية قد حُفت بميزات لا تقع تحت الحصر، هذا فى حين أن أحداً من أتباعها لم يمدد يد العون لأى فقير مشرد لأنه يعتبر مصيره ناجماً عن خطئه هو، فإن صبر فى تحمله فقد تأتيه الحياة فى المستقبل بما هو خير، وهذه طريقة قاسية لإخضاع الجماهير وإذلالها، والظاهر أن الدين فى نظرها معناه فرض درجات كهنوتية قوية تستشهد بالله كلما لزم الأمر لتدلل على أن مشيئته تقتضى بقاء الأمور على حالها.

وأما البوذية فقد علمتنى الكثير عن العقل البشرى وقوانيه، وكشفت لى طريقة سهلة لفهم الكون بصورة تماثل فى يسرها إجراء تجربة كيميائية شريطة أن أبذل التضحيات اللازمة، وهنا يوجد رد فعل لنظام العقيدة.

ولكنى لم أجد فى البوذية ولا فى الهندوكية أى تعليم خلقى، صحيح أننى تعلمت كيف أكتسب قوة خارقة تفوق طاقة البشر أو هكذا يعتبرها الجمهور، ولكن سرعان ما علمت أن هذا لا يعتبر دليلاً على السمو الروحانى بل يدل على مقدرة لإتقان علم معين

أو وسيلة للتسلية ذات مستوى أرفع بكثير من الرياضة الخلقية، وأعنى بذلك وسيلة لضبط المشاعر وتنظيم كافة الرغائب وإخضاعها كما كان موقف الفلاسفة الرواقيين. إلا أن مسألة وجود الله لم يجر بحثها أبداً، فليس هناك أدنى ذكر لخالق هذا الكون كله، وإنما يقتصر الأمر فى هذه الديانة على وجود منهج يتبعه المرء من أجل خلاص نفسه ولمساعدة الغير على تحقيق ذلك، وهنا توجد زاوية روحية لا تقتصر على مجرد التحكم فى القوى البهيمية الفطرية، لقد كان بوسع البوذية أن تنقذ العالم نظرياً كما كان فى مقدور النصرانية الأساسية التى آمن بها (تولستوى) أن تفعل ذلك بعد أن تقتصر على كلمات النبى عيسى - عليه السلام - وبعد تجريدها مما ران عليها من إضافات وتحريفات.

من أجل فئة قليلة :

ولكن إذا كانت العقائد المجردة تستطيع أن تنقذ العالم نظرياً فلماذا فشلت فى تحقيق ذلك فى عالم الواقع؟

والجواب هو أنها كانت من أجل فئة قليلة من الناس ولم تكن للجماهير، فإذا أردنا أن نفهم النصرانية والبوذية كما تنص تعاليم مؤسسيها فإننا نجد كلا منهما تتحاشى المشكلات الاجتماعية لأنها لا تهتم بها. فقد كان كل من السيد المسيح عليه السلام وبوذا يدعو إلى هجر كافة الممتلكات وإفناء النفس الدنيا إفناءً كلياً فى سبيل البحث عن الله، «لا تقاوم الشر» «لا تفكر فى الغد» إننى أكنّ أعظم تقدير للذين يستطيعون اتباع هذا المنهج، وأنا واثق من أنه سيقودهم إلى الله [1] ولكنى واثق كذلك أنه لن يتسنى للجماهير أن تطبقه، وأنه لا يستطيع أن يحسن حال الفلاح الجاهل، لهذا كانت قيمته الاجتماعية ضئيلة، إنه تعليم عظيم يصلح لعملاق روحى. ولكنه فاشل فشلاً ذريعاً بالنسبة لجماهير البشر، ولا يصلح لإحداث ثورة بين الجماهير تستهدف تحسين أحوالهم الروحية والفكرية والمادية خلال فترة وجيزة من الزمن.

(١) يقصد بذلك الافتراض وتقريب الأمور، لأن المسلم يعتقد ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ كما قال الله تعالى [سورة آل عمران: ١٩، ٨٥].

إلى الإسلام:

قد يكون الأمر مستغرباً إذا قلت إننى رغم حياتى فى البلاد العربية فإن الدين الإسلامى لم ينل منى غير اهتمام عابر، كما أننى لم أفحصه فحصاً دقيقاً مثلما فعلت بالنسبة لكافة العقائد الأخرى فى العالم، إلا أننى عندما أذكر أن معرفتى السابقة لهذا الدين كانت تقتصر على قراءتى لترجمة القرآن بالإنجليزية التى أعدها رودويل Rodwell حينئذ ينتهى العجب من عدم تحمسى للإسلام [1].

بعد ذلك بكثير التقيت بداعية مسلم معروف فى لندن، ولاحظت فيما بعد أن معظم البلاد العربية لا تفعل شيئاً يذكر لاستقطاب غير المسلمين إلى الإسلام، ونشر تعاليمه فى الأماكن التى يمكن فيها أن تؤتى أكلها الطيب. فكثيراً ما يقابل الرجل الأجنبى بالحذر وعدم الثقة حتى أصبحت ذلك صفة مميزة للسياسة الشرقية التى تتمثل فى الإخفاء والتستر بدلاً من النشر والإعلان، ولم يمض وقت طويل حتى اكتشفت ضالتى المنشودة التى قضيت فى البحث عنها سنين عدداً، كان ذلك فى ظل التوجيه الذكى لرجل مسلم زودنى بنسخة من القرآن مترجمة ومعلق عليها بقلم عالم مسلم، هذا بالإضافة إلى عدد كبير من المؤلفات النافعة الأخرى مما هيأ لى تصوراً حقيقياً عن الإسلام. ودعيت ذات يوم لمشاهدة الصلاة والمشاركة فى تناول طعام الغداء الذى قدم عقب صلاة العيد، كان ذلك فى عام ١٩٤٥م مما أتاح لى الفرصة لتأمل مجموعة دولية من المسلمين عن كثب، لم تكن تلك المجموعة من العرب ولا من أية قومية أخرى، وإنما كانت ثلة تمثل مختلف أجناس الدنيا وطبقاتها الاجتماعية، وكانت فيها شتى ألوان البشر، فقد التقيت ضمن هذه المجموعة بأمير تركى كما لقيت أناساً يمكن اعتبارهم فى الحياة العملية من طبقة الشحاذين، وجلس هؤلاء وأولئك جميعاً يتناولون طعام الغداء بعضهم مع بعض، ولم تبد من الأغنياء أية بادرة تنم عن التواضع المفتعل، كما لم تشم أية رائحة من النفاق المغرور بالنسبة للشعور بالمساواة التى كانت تنبعث من الرجال البيض وهم يتحدثون مع جيرانهم الزنوج [2] ولم تجر أية محاولة للانسحاب أو الانعزال

---

(١) انظر تعليق الدكتور عيسى عبده فى المقدمة (ص١٣٤)، ومعلوم أن ترجمة معانى القرآن لرودويل مليئة بالجهل، والتعصب، والافتراء على القرآن والإسلام.

(٢) فى أمريكا مطاعم فخمة عليها لافتات كبيرة مكتوب عليها: ممنوع دخول الزنوج والكلاب .

بالنفس عن بقية البشر، كما لم أشاهد أى تعاظم مضحك من قبل أحد منهم يتصنع الفضيلة ويخفى الأثرَة.

إن المجال لا يتسع ها هنا لكى أصف كافة جوانب الحياة التى اكتشفتها فى ظل تعاليم الإسلام. وهذا شيء لم أعثر على مثله فى أى مكان آخر، وحسبى أن أقول إننى دخلت هذا الدين بعد تفكير وتأمل مناسب، وبعد دراسة جميع الأديان المهمة فى العالم دون أن أعتنق أى دين منها.

لهذا كله غدوت اليوم من المسلمين، ولكن ما سبق بيانه لا يبين سر اعتزازى بإسلامى. إذ أن هذا الإحساس بالفخر والاعتزاز لم يتم إلا بمرور الزمن وعن طريق التجربة.

لقد درست الثقافة الإسلامية فى جامعة إنجليزية وتعلمت للمرة الأولى أن هذه الثقافة ذاتها هى التى أخرجت أوروبا من عصور الظلام، وتعلمت من التاريخ كيف كان عدد كبير من أعظم الامبراطوريات فى العالم امبراطوريات إسلامية، وأن جانباً كبيراً من العلم الحديث لابد من الإقرار بأنه تراث إسلامى.

وعندما أقبل علىّ الناس وقالوا لى بأننى اتخذت خطوة إلى الوراء، عندئذ ابتسمت من جهلهم وخلطهم بين العلة والمعلول، هل يحق للعالم أن يذم الإسلام تبعاً للعوامل الخارجية التى أنشأت الانحطاط الذى حدث فى بلاد المسلمين؟ [1] وهل يعتبر الفن فى عصر النهضة مثلا أقل صدقاً لأن حوادث الإجهاض يجرى تصويرها اليوم فى العالم كله؟ وهل يجوز لنا وَصْم النصرانية بالبربرية المتعطشة للدماء بسبب محاكم التفتيش التى جرت فى العصور الوسطى فى أسبانيا؟ لابد أن نسجل هنا أن أعظم العقليات وأكثرها نبوغاً قد أعربت فى كل العصور عن احترامها للثقافة الإسلامية [2] التى يخفى على الغرب كثير من جواهرها ولآلئها.

(١) هذه إشارة إلى أن حال المسلمين اليوم لا يشجع الآخرين على الدخول فى الإسلام. وحسبى أن أردد هنا هذا الدعاء القرآنى (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) فالمسلمون اليوم يصدون عن دينهم، وليس لهم منه مع الأسف إلا الاسم. هذا بالنسبة لأكثرهم.

(٢) من ذلك أقوال كارليل وبرنادشو الإنجليزيين وإشادتهما بالإسلام. يقول برناردشو: إن أعظم شخصية عرفتها الدنيا هى شخصية محمد. ويقول: لو أن العالم احتكم اليوم إلى الإسلام لكان فى أحسن حال..

لقد سافرت إلى أقطار كثيرة فى أنحاء العالم، وأتيحت لى فرصة كافية لملاحظة طريقة استقبال الأجانب فى كل مكان، فلم أجد أحداً من أتباع الديانات الأخرى كالمسلمين فى كرم ضيافتهم وعطفهم على الغرباء، المبرأ من كل مصلحة بصرف النظر عن رد الفعل المبدئى المتمثل أحيانا فى الرغبة فى مساعدة الغريب أو مسألة معرفة هويته واكتشاف المزايا والفوائد التى يمكن جنيها من ورائه، ومن الناحية الاقتصادية لا نجد كالمسلمين فى تقارب الفروق بين غنيهم وفقيرهم بشكل لا يستدعى الفقراء إلى العمل على قلب نظام الحكم أو إشاعة الفوضى. لذلك لم يكن بوسع الشيوعية السوفيتية أن تشيع فى أية دولة مسلمة (*)

❁❁❁

(*) عن مجلة مسلم نيوز انترناشنال الباكستانية المسلمة - عدد أغسطس ١٩٦٨م الموافق جمادى الأولى ١٣٨٨هـ.

إنجلترا :

١٧- الشيخ رحمة الله الفاروق
(اللورد هيدلي سابقاً)

Lord Headlcy AI- Farooq "England'

تعريف في سطور

ولد اللورد هيدلى الفاروق فى عام ١٨٥٥ وكان أميرا بريطانيا بارزا وسياسيا ومؤلفا. وكان تعليمه فى جامعة كامبرج ثم أصبح أميرا فى عام ١٨٧٧م. وخدم في الجيش فشغل رتبة كابتن ثم مقدم فى الفيلق البريطانى الرابع. وعلى الرغم من كونه مهندسا بحكم المهنة فقد كان يتمتع بأذواق أدبية واسعة. وكان فى وقت من الأوقات رئيسا لتحرير جريدة «سولزيورى»، كما كان مؤلفا لعديد من الكتب أشهرها بعنوان «رجل غربى يصحو فيعتنق الإسلام» وقد اعتنق اللورد هيدلى الإسلام فى ١٦ نوفمبر ١٩١٣ واتخذ لنفسه اسما مسلما هو الشيخ رحمة الله الفاروق فى وقت كان المسلمون فى أشد حالات الضعف والضياع، وكان كثير الأسفار فقد قام بزيارة للهند فى عام ١٩٢٨. ولنتركه يحدثنا:

ثمرة تفكير:

ربما يظن بعض أصدقائى أننى تأثرت بالمسلمين. إلا أن ذلك ليس السبب فى اعتناقى دين الإسلام. إذ أن معتقداتى الحاضرة ليست إلا ثمرة تفكير استمر سنوات عديدة. ولم تبدأ مناقشاتى الفعلية مع المثقفين المسلمين فى موضوع الدين إلا منذ بضعة أسابيع خلت. ولست بحاجة إلى القول بأننى سعيد غاية السعادة إذ أجد أن جميع نظرياتى واستنتاجاتى تتفق تمام الاتفاق مع ما جاء به الاسلام. ينص القرآن الكريم على أن الاتجاه إلى اعتناق دين جديد لابد أن يكون نابعاً من الاختيار الحر والحكم الذاتى الطبيعى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦] وهذا ما أشار إليه السيد المسيح عليه

السلام حين قال لأنصاره كما ورد فى انجيل مارك ٦- ٢٠: «ولكل إنسان الحق فى عدم استقبالكم والامتناع عن سماعكم عندما ترحلون إلى هناك».

دعوة بلا حكمة:

إننى أعرف أمثلة كثيرة جداً قام فيها رجال من البروتستانت المتحمسين وظنوا أن من واجبهم زيارة منازل الروم الكاثوليك بغية كسب سكانها إلى الديانة البروتستانتية(١). وهذا التصرف المزعج المنافى لآداب الجوار يعتبر بطبيعة الحال شنيعاً للغاية، وقد أدى كثيرا الى إساءة المشاعر كما أثار النزاع وكاد يصم الدين بالاحتقار والسخرية، ويؤسفنى أن أذكر أن المبشرين النصارى قد سلكوا هذا المسلك كذلك مع إخوانهم المسلمين، ولكن لست أدرى لماذا يسعى هؤلاء إلى تنصير من هم أنصار لعيسى عليه السلام أكثر منهم أنفسهم؟ أقول هذا عن علم لأن ما تتميز به العقيدة الإسلامية من إحسان وتسامح وسعة أفق أقرب إلى تعاليم عيسى عليه السلام من المعتقدات الضيقة الأفق التى تنادى بها الكنائس النصرانية المختلفة.

ولنضرب مثالا لذلك بالعقيدة الأثناسية «Athnasian Creed» التى تتناول مبدأ الثالوث بطريقة محيرة للغاية، فهذه العقيدة التى تعتبر فى غاية الأهمية لمعالجتها لمبدأ أساسى من مبادئ الكنائس تصرح بوضوح تام أنها تمثل العقيدة الكاثوليكية، وأننا إذا لم نصدقها فسوف نموت إلى الأبد، ثم نسمع أننا لابد أن نتدبر مبدأ التثليث إذا أردنا الخلاص، وبعبارة أخرى علينا أن نتأمل فكرة إله نخلع عليه صفة الرحمة والقوة، وفى ذات الوقت نتهمه بالظلم والقسوة، وهى صفات ننسبها إلى أشد الطغاة المتعطشين للدماء من بنى الإنسان. كأن الله العلى الكبير وهو الأول والمهيمن يمكن أن يتأثر بصورة من الصور برأى الإنسان الفانى المسكين فى مبدأ التثليث.

خذ مثالا آخر يدل على قلة الإحسان، تلقيت رسالة تناولت ميلى إلى الإسلام يخبرنى فيها مرسلها أننى إذا لم أؤمن بألوهية المسيح فلا سبيل إلى نجاتى، لم يحدث قط أن ظهرت لى مسألة ألوهية المسيح من الأهمية بمكان بحيث توازى القضية التالية: «هل بلّغ المسيح رسالة ربه للناس؟» لو كنت أرتاب فى ذلك فلا بد أن أعانى كثيرا من

(١) البروتستانتية معناها المعارضة وهى طائفة دينية انشقت عن الكاثوليكية على يد مارتن لوثر الألمانى.

القلق، ولكنى والحمد لله معافى من كل ريب، وآمل أن يكون إيمانى بالمسيح وتعاليمه المهمة قويًا راسخاً كإيمان أى مسلم أو نصرانى آخر، وكما ذكرت وكررت كثيرا من قبل: إن الإسلام والنصرانية التى جاء بها المسيح نفسه عليه السلام توأمان لا يفصل بينهما إلا بعض التعاليم والاصطلاحات التى يمكن التجاوز فيها عن طيب خاطر.

عندما يطلب إلىّ الناس فى أيامنا هذه الإيمان بمعتقدات جامدة متعصبة نجدهم يميلون إلى الإلحاد ، ولكن مما لا شك فيه أن فى صدورهم حنيناً إلى دين يتمشى مع العقل والعواطف الإنسانية، فهل سمعتم بمسلم يرتد إلى ملحد؟ ربما توجد بعض الحالات الشاذة ولكنى أشك فى ذلك كثيراً.

مُسلمون بقلوبهم :

أعتقد أن هناك آلافاً من الرجال والنساء مسلمون فى أعماق قلوبهم، و لكن التقاليد والخوف من التعليقات الشديدة والرغبة فى تجنب كل إزعاج أو تغيير ، تتضافر كل هذه الأمور للحيلولة دون تصريحهم بالحقيقة الواقعة على رؤوس الأشهاد، وإننى إذ أتخذ هذه الخطوة أعلم تماماً أن كثيراً من أصدقائى وأقاربى ينظرون إلى متوهمين أننى خسرت روحى وأن لا أمل فى الدعاء لى، مع أننى مُازلت أؤمن بنفس العقائد التى آمنت بها منذ عشرين عاماً ولكن النطق الصريح بحقيقة أمرى هو الذى أفقدنى رأيهم الحسن.

بعد بيان بعض الأسباب التى من أجلها اعتنقت تعاليم الإسلام، وبعد أن شرحت للقراء أننى أعتبر نفسى بذلك العمل أقربْ إلى النصرانية الحقة مما كنت من قبل، فكلى أمل فى أن يحذو الآخرون حذوى ، فهى قدوة إلى الخير تجلب السعادة لكل من يعتبر من هذه الخطوة ويفهم أنها خطوة إلى الأمام. أما من يعادى النصرانية الحقة فلا أمل فيه(*).

❊❊❊

(*) عن كتاب اخترنا الإسلام (Islam Our Choice) طباعة أوقاف بوانى - باكستان.

النمسا:

١٨- محمد أسد

(ليوبولد فايس) سابقًا

تعريف في سطور:

ولد محمد أسد أو ليوبولد فايس «Lcopold Wciss» كما كان اسمه قبل الإسلام في مدينة ليفو (Livow) بالنمسا، والتي أصبحت فيما بعد في بولندا - ولد في عام ١٩٠٠ ميلادية. ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره قام بزيارة الشرق الأوسط. وأصبح بعد ذلك مراسلا خارجيا شهيرا لمجلة فرانكفورتر زايتونج Frankfurter Zeitung وبعد دخوله في دين الإسلام تجول واشتغل في سائر أنحاء العالم الإسلامي من شمال أفريقيا غربا إلى أفغانستان شرقا .وقد أصبح محمد أسد واحدا من أبرز علماء المسلمين في عصرنا الحاضر بعد سنوات طويلة من الدراسة الجادة، ولما تم إنشاء دولة باكستان عين مديرا لقسم التعمير الإسلامي في بنجاب الغربية، ثم أصبح ممثل باكستان الدوري لدى الأمم المتحدة .وله مؤلفات باللغات الألمانية والانجليزية والعربية ومن أبرز كتبه: «الطريق إلى مكة» وقد ترجم إلى العربية، و«الطريق إلى الإسلام» تحدث فيه عن قصة إسلامه تفصيلا، وكتابه «الإسلام على مفترق الطرق» وهو على صغره من أجمل ما كتب عن الإسلام، وكتاب «نظام الحكم في الإسلام» وغيرها، كذلك أصدر مجلة شهرية سماها «عرفات». وله ترجمة معاني القرآن بالإنجليزية، ولندعه الآن يحدثنا عن جانب من قصة إسلامه ويستطيع من يريد الاستزادة من القراء الكرام أن يرجع إلى مقدمة كتابه الثاني «الإسلام على مفترق الطرق». وهو سياسي وصحفي ومؤلف. وقد كان آخر المطاف له الإقامة بمدينة طنجة بالمغرب حيث توفاه الله، رضي الله عنه وأرضاه.

بداية الطريق:

في عام ١٩٢٢م تركت وطني الأصلي النمسا وسافرت عبر أفريقيا وآسيا كمراسل خاص لبعض الصحف الأوروبية المهمة، ومنذ ذلك العام وما بعده قضيت معظم أوقاتي

فى بلاد الشرق الإسلامى. وكان شغفى بالشعوب التى خالطتها مقتصراً فى مبدأ الأمر على كونى أجنبياً، فرأيت أمام ناظرى نظاماً اجتماعياً وتصوراً للحياة يختلف اختلافاً جذرياً عن النظام الأوروبى، وأخذ يكبر فى نفسى منذ الوهلة الأولى شعور بالتعاطف الوجدانى مع التصور الحياتى الإسلامى الأكثر هدوءاً، بل لابد أن أقول بأنه الأكثر إنسانية إذا قورن بأسلوب الحياة الخاطف فى سرعته، الآلى فى طريقته فى البلاد الأوروبية، وقادنى هذا الشعور شيئاً فشيئاً إلى التنقيب عن الأسباب الكامنة فى هذا التباين. فأصبحت مهتماً بالتعاليم الدينية لدى المسلمين.

لم يكن ذلك الاهتمام فى تلك الآونة على درجة من القوة بحيث يشدنى إلى اعتناق الإسلام، ولكنه فتح أمامى زاوية جديدة لمجتمع إنسانى متقدم منظم يتسم بحد أدنى من الصراع الداخلى، وحد أقصى من الإحساس الأخوى الصادق، إلا أن واقع الحياة الإسلامية فى العصر الحاضر قد بدا لى بعيداً غاية البعد عن الاحتمالات المثالية التى تزخر بها تعاليم الإسلام. فقد تحول كل ما فى الإسلام من تقدم وحركة إلى كسل وركود فى أوساط المسلمين، وحل ضيق الأفق وحب الحياة الهانئة الميسرة محل الكرم والاستعداد للبذل والتضحية.

بين الأمس واليوم:

لقد دفعنى هذا الاكتشاف وتلك الحيرة الناجمة عن المفارقة الواضحة بين الأمس واليوم إلى محاولة تناول المشكلة الماثلة أمامى من زاوية أكثر إخلاصاً، فتصورت أننى داخل إطار الإسلام. وكانت هذه تجربة فكرية محضة كشفت لى الحل الصحيح خلال فترة وجيزة. فقد أيقنت أن علة العلل فى انحلال المسلمين من الناحيتين الاجتماعية والثقافية تتمثل فى هجرهم روح التعاليم الإسلامية. فالإسلام موجود ولكنه فى نفوسهم جسد بلا روح، فنفس العنصر الذى تمثلت فيه قوة العالم الإسلامى قد أصبح اليوم مظنة ضعف هذا العالم، ولقد قام المجتمع الإسلامى بادىء ذى بدء على أسس دينية مجردة لذلك كان لزاماً أن يؤدى ضعف الأسس إلى زعزعة البناء الثقافى، مما قد يؤدى إلى تلاشيه التام.

كيف يهجر المسلمون دينهم..؟

عجباً لأمر المسلمين! كلما تعمقت فى فهم الصفة التطبيقية الملموسة التى تتميز بها

التعاليم الإسلامية كلما اشتد تساؤلى: لماذا هجر المسلمون تطبيق هذه التعاليم فى الحياة الواقعة؟ لقد بحثت هذه القضية مع كثير من المفكرين المسلمين فى معظم الأقطار التى تقع بين الصحراء الليبية والبامير Pamirs وبين مضيق البسفور وبحر العرب، حتى غدت هذه القضية بمثابة عقدة تغلغلت فى نهاية المطاف فى كافة اهتماماتى الفكرية الأخرى فى عالم الإسلام، ثم اشتدت وطأة هذا التساؤل واطردت حتى أخذت أنا الرجل غير المسلم فى بحثها مع المسلمين، وكأن من واجبى أن أدفع عن الإسلام إهمالهم وتكاسلهم.

كان هذا التقدم غير محسوس بالنسبة لى، إلى أن كان يوم من أيام خريف عام ١٩٢٥م عندما كنت فى جبال أفغانستان إذ التفت إلىّ حاكم شاب من حكام إحدى المقاطعات الأفغانية وقال: «ولكنك مسلم. كل ما فى الأمر أنك لا تعرف نفسك»، لقد هزتنى هذه العبارة ولكنى التزمت جانب الصمت، وعندما عدت ثانية إلى أوروبا فى عام ١٩٢٦ رأيت أن النتيجة المنطقية الوحيدة لموقفى هى أن أعتنق الإسلام.

أكتفى بما ذكرت آنفاً عن الظروف التى أحاطت باعتناقى للإسلام. ومنذ ذلك الحين وأنا أسأل المرة تلو الأخرى: «لماذا أسلمت؟ ما الذى جذبك إلى الإسلام بصورة خاصة؟».

الإسلام البناء الشامل:

والحق أننى لابد أن أعترف أننى لا أملك إجابة شافية لذلك، فلم يجذبنى إلى هذا الدين تعليم إسلامى معين وإنما الذى استقطبنى إليه هو ذلك البناء العظيم الشامل المتناسق الذى يبلغ حداً لا يمكن وصفه، والذى يتضمن تعاليم خلقية كما يتضمن برنامج حياة واقعى، لست أدرى حتى الآن أى جانب من الإسلام يستميلنى أكثر من غيره، لأن الإسلام فى نظرى بمثابة بناء هندسى بديع لا يشوهه أى عيب، قد صممت كافة جزئياته وائتلفت يكمل بعضها البعض الآخر، ليس فيه زيادة أو نقصان مما أدى إلى التوازن المطلق والائتلاف المكين.

ربما يكون هذا الإحساس بأن كل شىء فى تعاليم الإسلام ومبادئه يقع فى مكانه المناسب هو الذى ترك أعظم الأثر فى نفسى، وقد تكون إلى جانبه مشاعر أخرى من العسير علىّ الآن أن أحللها، والمسألة على كل حال عبارة عن قضية حب، والحب يتألف

من أمور شتى تدخل فيها رغباتنا وشعورنا بالوحشة وآمالنا السامية وعيوبنا، كما تدخل فيها قوتنا وضعفنا . وكذلك الحال بالنسبة لى، فقد أتانى الإسلام متسللا كالطيف حين يدخل منزلا ما فى حلكة الليل المظلم. لكنه يختلف عن الطيف فى أنه دخل ليبقى إلى الأبد.

الإسلام أعظم قوة :

منذ أن أسلمت وأنا أسعى جاهداً لطلب أكبر قدر من العلم الإسلامى. فقد درست القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، كما درست لغة الإسلام وتاريخه وجانباً كبيراً مما كتب عنه وما كتب ضده، وأمضيت خمس سنوات ونيف فى الحجاز ونجد، كان معظمها فى المدينة المنورة على أمل أن أتذوق الحياة وسط البيئة الأصلية التى نبت فيها هذا الدين، حيث دعا إليه النبى العربى صلوات الله وسلامه عليه، ولما كانت الحجاز نقطة التقاء المسلمين من أقطار كثيرة فقد أمكننى أن أقارن بين معظم الآراء الدينية والاجتماعية المختلفة السائدة فى العالم الإسلامى فى أيامنا هذه، حتى أحدثت هذه الدراسات والمقارنات اعتقاداً راسخاً فى نفسى بأن الإسلام كظاهرة روحية اجتماعية لا يزال أعظم قوة دافعة عرفتها البشرية ، رغم كافة السقطات التى ترجع إلى قصور المسلمين أنفسهم، لذلك أصبح همى الأول منصباً منذ ذلك الحين على قضية بعث الإسلام من جديد.

❁❁❁

هنغاريا: "المجر"

١٩- الدكتور عبد الكريم جرمانوس

"مستشرق مجري"

تعريف في سطور

هو الحاج الدكتور عبدالكريم جرمانوس مستشرق هنغارى «مجرى» معروف وعالم له شهرته فى العالم، زار الهند فى الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين واتصل بجامعة طاغور بعضا من الوقت، ثم قدم إلى الجمعية الملية فى نيودلهى حيث اعتنق الإسلام. والدكتور جرمانوس عالم فى اللغويات فهو حجة فى اللغة التركية، وأدبها، ولقد دخل فى الإسلام عن طريق الدراسات الشرقية. وكان يعمل فى الستينات أستاذا ورئيس قسم الدراسات الشرقية والإسلامية فى جامعة بودابست بهنغاريا. - المترجم.

* * *

فى إحدى أمسيات الشتاء من عهد مراهقتى كنت أطالع مجلة مصورة قديمة امتزجت فيها الأحداث الجارية فى الواقع بالخيال كما انتشرت فى صفحاتها أوصاف البلاد النائية. ومكثت برهة أقلب صفحات المجلة دون اهتمام. وفجأة استوقف نظرى منظر خشبى رأيت فيه منازل ذات سُقف منبسطة تبرز من بينها هنا وهناك قباب مستديرة يزينها الهلال وسط سماء مظلمة. كما شاهدت رجالا يجلسون القرفصاء على السطح وعليهم حلل غريبة وقد انتشرت ظلالهم فى صفوف غامضة.

ابتهاج ودراسات:

لقد ابتهج خيالى بهذه الصورة تبعًا لاختلافها الشديد عن المناظر الطبيعية المعتادة فى أوربا، فقد كانت منظراً شرقيًا فى مكان ما من الشرق العربى حيث جلس أحد الرواة يقص على مستمعيه المدثرين قصصه المبهرجة. وكانت الصورة حية بشكل جعلنى أتخيل أننى أسمع صوته العذب وهو يسلينا: مستمعيه العرب الجالسين معه على السطح، وأنا الطالب البالغ من العمر ستة عشر عامًا- والجالس على كرسى مريح فى بلادى هنغاريا-

لقد أحسست بشغف لم أستطع مقاومته لمعرفة ذلك النور الذى يصارع الظلمة فى الصورة.

من هنا بدأت أتعلم اللغة التركية، فعرفت أن اللغة الأدبية التركية لا تتضمن إلا قليلا من الكلمات التركية. فالشعر التركى غنى بالعناصر الفارسية والنثر العربى. فأخذت أعمل على إجادة هذه اللغات الثلاث حتى أدخل ذلك العالم الروحى الذى طلع على البشرية بهذا النور الساطع.

الاتصال الأول : سلام لا عداوة :

لقد كان من حسن طالعى أن أسافر فى إحدى الأجازات الصيفية إلى بلاد «البوسنا» وهى أقرب بلد شرقى مجاور لهنغاريا، وما أن نزلت فى أحد الفنادق حتى خرجت مندفعاً بغية مشاهدة المسلمين الأحياء الذين كانت لغتهم التركية تطلع علىّ من خلال حروفها العربية المتشابكة، وذلك فى صفحات كتب النحو والصرف، وكان الزمان ليلا فسرعان ما اكتشفت فى الشوارع ذات الضوء الخافت مقهى متواضعاً جلس فيه رجلان من أهل «البوسنا» على مقاعد منخفضة «يكيفان». كان كل منهما يرتدى سروالا تقليدياً منتفخًا يمسكه حزام عريض مزين بالخناجر اللامعة ومعقود حول الخاصرة، كما أن لباس الرأس والحلة الغريبة الشكل التى كان يرتديها كل منهما قد أكسبتهما مظهراً شرساً، فدخلت «القهوة خانة» - كما يسمونها - وقلبى يدق بشدة من الفزع وجلست بحذر فى ركن بعيد. فالتفت الرجلان نحوى بعيون يبدو فيها الاستغراب. وسرعان ما تذكرت القصص التى يتجمد الدم فى الشرايين من هول سماعها. تلك القصص التى كنت أطالعها فى كتب خيالية حول تعصب المسلمين. ولاحظت أنهما كانا يهمسان فيما بينهما وأن حضورى غير المنتظر هو موضوع همسهما. فما كان من خيالى الصبيانى إلا أن تأجج بالرعب وقلت فى نفسى: لابد أنهما ينويان أن يشهرا خنجريهما فى وجه «الكافر» الدخيل. وتمنيت أن أخرج بسلام من هذا الجو المنذر بالخطر. ولكننى لم أجرؤ على الإتيان بأية حركة.

وبعد ثوان قليلة أتانى الخادم بفنجان من القهوة الزكية الرائحة وأومأ إلى مجلس الرجلين المخيفين، فأدرت وجهى الفزع نحوهما فما كان من أحدهما إلا أن أفشى سلاماً ودياً وعلى وجهه ابتسامة لطيفة، فجرت ابتسامة مفتعلة متلكئة على شفتى المرتعشتين، وقام الرجلان اللذان تصورت أنهما عَدُوّان واقتربا ببطء من منضدتى

الصغيرة، فثار في قلبي المضطرب التساؤل التالي: ترى ماذا سيفعلان بي الآن؟ هل سيطرداني؟ لا بل لقد طرحا على سلاماً آخر، وجلس الرجلان من حولي وقدم لي أحدهما سيجارة، ولما أشعلتها لاحظت أن لباسهما العسكري يخفي وراءه روحاً مضيافةً كريمة، فجمعت قوتي وخاطبتهما بلهجتي التركية البدائية: فكان ذلك الحديث كالعصا السحرية، إذ استنارت في روح من المودة التي تشرف على الحب، وبدلا من العداوة دعاني هذان الرجلان إلى زيارة بيتيهما، وبدلا من الخناجر الزائفة المتوقعة غمرت بالتسامح، ذلك هو لقائي الشخصي بالمسلمين لأول مرة.

العلوم الإسلامية:

ثم مضت سنوات زاخرة بشتى الأحداث والأسفار والدراسات فتحت كل واحدة منها آفاقاً جديدة أمام ناظري. فعبرت كافة الأقطار الأوروبية ودرست في جامعة اسطنبول فأعجبت بروائع آسيا الصغرى وسوريا. وتعلمت اللغة التركية والفارسية والعربية وحصلت على كرسي الدراسات الإسلامية بجامعة بودابست. والتهمت كافة العلوم النظرية المختزنة عبر القرون كما طالعت آلاف الصحائف في المؤلفات العلمية. ولكن روحي بقيت ظمأى. لقد وجدت خيط اريادنه «Ariadne» الأخضر في كتب العلم، ولكني تشوقت إلى جنة التجربة الدينية ذات الخضرة السرمدية. لقد بلغ عقلي حد التشبع إلا أن روحي ظلت متعطشة. فجردت نفسي من كثير من المعارف التي حصلتها كي أستعيدها من خلال التجربة الباطنية بعد صهرها بنار الألم، كمثل الحديد الخام الذي تحيله قسوة البرودة المفاجئة إلى حديد صلب مطاوع.

رؤياي للنبي محمد ﷺ:

وفي إحدى الليالي رأيت النبي محمداً ﷺ أمامي. كانت لحيته الكثة محمرة بالحناء وكان رداؤه بسيطاً رائعًا تنبعث منه رائحة زكية. وقد أشرقت عيناه بإشعاع نوراني. فخاطبني بصوت رجولي قائلا: «لماذا تكتنفك الهموم؟ إن الصراط المستقيم مبسوط أمامك كسطح الأرض المستوية يزينه الأمن. فَسِرْ بخطى واثقة ثابتة مدعمة بقوة الإيمان».

فصحت متعجباً بلسان عربي في ذلك المنام المؤثر قائلاً: «يا رسول الله! إنّه أمر

ميسر لك أنت الذى عبرت الطريق وهزمت جميع الأعداء، بعد أن دفعك الذكر الربانى فى سبيلك حتى تُوِّجت مساعيك بالنصر والفوز المبين، أما أنا فلابد لى من أن أقاسى. ومن يدرى متى أجد راحتى!».

فنظر إلى نظرة جادة استغرق على إثرها فى تفكير عميق ولكنه عاد فتكلم بعد برهة، كان كلامه العربى من الوضوح بحيث كانت كل كلمة فيه تجلجل كأجراس الفضة، إن هذا الكلام النبوى الذى تضمن أوامر الله كان بمثابة حمل ثقيل ساحق فوق صدرى ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ: ٦-٩]. فتنهدت متألماً: «لا أستطيع أن أنام، لا أستطيع أن أحل الأسرار المغطاة بحجب كثيفة لا يمكن خرقها، فكن عونى يا محمد يا رسول الله أعنى!» ثم انطلقت من جوفى صرخة شديدة متقطعة. وارتميت تحت وطأة الكابوس وقد كدت أن أختنق. وأصبحت أخشى من غضب النبى. ثم شعرت وكأننى وقعت فى أعماق سحيقة. وفجأة استيقظت. فوجدت الدم قد احتبس فى وجناتى، كما وجدت جسدى غارقا فى العرق وكل عضو فيه يؤلمنى. ولفَّنى صمت قاتل، ثم أحسست بالأسى الشديد والوحشة العظيمة.

المشهد العظيم في صلاة الجمعة:

ثم كان يوم الجمعة التالى فشهد منظراً مثيراً للدهشة وذلك فى المسجد الجامع الكبير فى نيودلهى، حيث شوهد رجل غريب أشهب الشعر، شاحب الوجه يشق طريقه بين جماهير المصلين ومعه بعض الشيوخ. كنت ذلك الرجل، وعلىّ لباس هندى وعلى رأسى قبعة رامبوريه Rampuri صغيرة، وعلى صدرى أوسمة تركية أهديت لى من قبل السلاطين السابقين، فنظر إلىّ المؤمنون نظرة ملؤها الدهشة والاستغراب، واستمرت مجموعتنا الصغيرة فى اتجاهها إلى المحراب الذى يحيط به علماء أجلاء طاعنون فى السن، فاستقبلونى بالسلام رافعين أصواتهم، وجلست قريباً من المنبر وطوفت ببصرى أتأمل واجهة المسجد ذات الزخارف الجميلة.

لحظة معظمة ومسلم جديد :

وفجأة رفع الأذان ووقف المكبرون فى أماكن شتى من الرواق ينقلون النداء إلى أبعد ناحية فى المسجد، ثم قام ما يقارب الأربعة آلاف رجل مثلما يقوم الجنود ملبين هذا الأمر السماوى. واصطفوا فى صفوف متقاربة وأقاموا الصلاة بخشوع تام، وكنت بينهم، فكانت لحظة مليئة بالتعظيم . وبعد انتهاء الخطبة والصلاة أخذ أحد المسلمين واسمه عبدالحى بيدى وقادنى إلى المنبر، لقد جاءت الحادثة العظيمة، فما أن وقفت على درجات المنبر حتى بدأ الحشد الهائل من الناس فى التحرك، وأخذ آلاف الرجال المعممين يتمتمون مع بعضهم البعض مشيرين إلىّ باستغراب. كما أحاط بى علماء ذوو لحى بيضاء ومسحونى بنظراتهم المشجعة فأيقظوا فى نفسى ثباتاً غير عادى، فأخذت أصعد ببطء إلى الدرجة السابعة من المنبر دون وجل، ومن فوقها استعرضت الجمهور المختلف الألوان وكان يزخر تحتى كالبحر تماما ، كان الجالسون فى الصفوف الخلفية يمدون أعناقهم نحوى فكان ذلك يوحى بانتشار الحركة فى القاعة كلها ، وقال بعض الجالسين بالقرب منى متعجبين: ما شاء الله! وكانت عيونهم تشع بنظرات المودة والحب.

ثم بدأت خطابى باللغة العربية فقلت: أيها السادة الكرام: لقد أتيت من بلاد نائية كى أحصّل معرفة لم أستطع تحصيلها فى بلادى. جئتكم لأقتبس منكم الإلهام فاستجبتم لذلك. وواصلت حديثى فتكلمت عن الدور الذى أدّاه الإسلام فى تاريخ العالم وعن الآية التى أودعها الله فى نبيه عليه الصلاة والسلام، وشرحت سبب تأخر المسلمين المعاصرين وكيف يستعيدون عزهم من جديد، وقلت بأن هناك قولا إسلامياً مفاده أن كل شيء يتوقف على مشيئة الله، ولكن القرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] فبنيت حديثى على هذه الآية القرآنية وعرجت للثناء على حياة الصلاح والتقوى ومحاربة الشر. ثم جلست فتأثرت برد الفعل الساحر الذى تركه حديثى إذ أخذت عبارة «الله أكبر» تتردد بها جنبات المسجد. وكانت الإثارة شاملة، وكل ما أذكره أن «إسلام» - أحد المسلمين - دعانى إلى النزول عن المنبر وأمسك بعضدى حتى سحبنى خارج المسجد. فسألته عن سر هذه العجلة فلم يجب.

حَبٌّ وَمَوَدَّةٌ بَالِغَة :

لقد وقف الرجال أمامي وأخذوا يعانقونني كما نظر إليَّ كثير من المساكين نظرات ملؤها التوسل، وصاروا يتبركون بي وهمُّوا أن يقبلوا رأسي، فقلت متعجباً: يا إلهي! لا تدع هذه النفوس البريئة ترفعني فوقها، فما أنا إلا دودة من دود الأرض، أو تائه يسير نحو النور عاجز لا حول لي ولا قوة مثل سائر المخلوقات البائسة. لقد أخجلتني تنهدات البرءاء وآمالهم فشعرت وكأنني قد سرقت أو خدعت. فيا له من حمل ثقيل يوضع على كاهل الرجل السياسي مثلا، حين يحوز على ثقة الناس حتى يجعلوه أملهم الذي يعينهم وصاروا يقدمونه على أنفسهم.

ثم جاء «إسلام» فخلصني من عناق إخواني الجدد، ووضعني في مركبة وقادني إلى البيت، وفي اليوم التالي والأيام التي تلته احتشد الناس لتهنئتي فجمعت من دفء المودة وارتفاع الروح المعنوية على أثر حبهم لي ما يكفيني طيلة حياتي الباقية(*).

❁❁❁

(*) مقتطفة من مجلة مسلم نيوز انترناشنال عدد يوليو ١٩٦٨م. الصادرة شهرياً في باكستان.

هنغاريا: "المجر"

٢٠- حسن ورفر
(جوليوس ورفر سابقاً)

هذه قصة شاب هنغارى يبلغ من العمر حين لقيته نيفا وثلاثين سنة وهو إنسان عاطفي للغاية حضر إلى الكويت وأجريت معه عدة لقاءات كانت السطور التالية ثمرة جلسة خلا فيها لنفسه فكتب هذه الخلجات. وهو متيم فى حبه للبلاد العربية.

* * *

ولدت فى بلاد المجر «هنغاريا». ولم يمض وقت طويل على ولادتى حتى انفصل والداى بالطلاق. وعندما كبرت قليلا وجدت نفسى أتنقل بينهما وأستمع الى الشتائم والخلافات. ولم أسمع شيئا عن الله، اللهم إلا من الخدم. ثم ذهبت إلى المدرسة وكانت مدرسة بروتستانتية كما هو مذهبنا بينما كان مذهب الخدم الرومية الكاثوليكية لذلك تعلمت فى المدرسة ديناً جديداً يغاير الدين الذى كنت أعرفه. إذ كان المعلمون فى المدرسة يهاجمون المذهب الكاثوليكى جهاراً نهاراً ويقولون بأن الكاثوليك مخطئون خطأ فاحشاً. ومضى وقت طويل دون أن أعرف الصواب من الخطأ فى حديث أساتذتى. وكنت فى ذلك الحين فتى غضاً لا أفهم كثيراً من الأمور.

لقد تعودت أن أذهب إلى الكنيسة الكاثوليكية. فتعلمت منها الوصايا العشر التى أثرت فى نفسى كثيراً لأننى كنت آخذ كل كلمة فيها مأخذ الجد. فقد اشتغل تفكيرى بالوصية الأولى التى تقول: "لا تتخذ آلهة غيرى!

من الوثني: ؟!

وفى المدرسة العليا درست شيئا عن الشعوب غير النصرانية كالعرب والأتراك وكانوا يلقبون بالوثنيين(١). فقد عاش الترك فى هنغاريا منذ حوالى مئة وخمسين عاما حتى

(١) اعتاد النصارى أن يسموا المسلمين بالوثنيين زعما منهم إن المسلمين يعبدون «الله» وهو أحد الأصنام التى اختارها لهم محمد. وهذه مغالطة كبيرة مقصودة كما هو واضح. فالمسلمون موحدون والنصارى هم الوثنيون حقا. المترجم.

خلفوا آثارا لا تنمحى فى البلاد، وتعلمنا كذلك أن الأتراك مسلمون وأن النبى محمداً ﷺ هو مؤسس الإسلام - وكان الإسلام يلقب بالدين الوثنى الذى لا يؤمن بالمسيح-[1]. كذلك يجد الدارس للأدب الهنغارى كثيرا من المؤلفات عن الأتراك والعصر التركى.

ففى روائع الأدب الهنغارى يوصف الترك بأنهم بشر غريبو الأطوار متدينون. وقد أحببت الأتراك بعد أن قرأت إحدى روائع الأدب الهنغارى، وأحسست أننى واحد منهم بحيث أننى عندما كنت أشترك فى التمثيل كنت أنتقى دور أحد الباشاوات الأتراك أو دور شريف عربى.

وقلت فى نفسى: أريد أن أعرف لماذا نسمى هؤلاء الناس بالوثنيين؟ لماذا ندعوهم بالمسلمين؟ وما هو الإسلام؟ ثم وقعت الحرب العالمية الثانية وحدثت تطورات كثيرة أصبحت بلادى على أثرها ميدانًا للمعركة وأخيراً جاء الاحتلال الروسى، فأحضر الروس معهم مبدأهم الإلحادى وهو الشيوعية. ومنعونا نحن الشبان من الذهاب إلى الكنيسة. وكنت كما ذكرت آنفاً شاباً بروتستنتياً أذهب إلى الكنيسة الكاثوليكية لإحساسى بأن القساوسة البروتستانت ينشرون الضلال والنفاق. كما أن الكاثوليكى يؤمن بالأب والابن والروح القدس، وفى الوقت ذاته يدعو إلى الإيمان بالله وحده. لم أستطع أن أفهم ذلك مما سبب لى إزعاجاً كبيراً.

وعندما تعمقت فى الكاثوليكية أكثر فأكثر أيقنت أننى لم أكن أسلك الطريق الصحيح، فتركتها إلى الأبد، ومضت سنوات أحسست خلالها بفراغ قاتل نسيت معه الصلاة بالكلية، وكنت أكتفى بالنظر فى السماء فتواجهنى الشمس القوية التى تزغلل البصر ولا تهدى إلى الرشد، ثم نظرت فى النجوم فلم أهتد. ثم أخذت أتدبر وأفكر. قلت فى نفسى:

«ماذا يحدث لو أننى تمددت على الأرض وأخذت ببساطة أصلى لله؟ هل يتغير حالى؟ هل أكون آثماً؟ أم أكون مصيبًا؟ وماذا يمكن أن يقول الناس عنى»؟ استمرت هذه الأفكار المحيرة تراودنى وتحيط بى سنوات طويلة حتى أننى شعرت ذات يوم ببؤس

(١) الإسلام يؤمن بنبوة المسيح بمعنى أن المسيح عيسى هو عبدالله ورسوله ولكن الإسلام ينكر ألوهية المسيح- المترجم.

وشقاء شديد لم أستطع معه النوم. فسجدت على الأرض إلى جوار فراشي وصليت لله. وكانت صلاتي بسيطة عبارة عن الدعاء التالي: «اللهم يا عزيز يا قوي! آمنت بك وحدك لا شريك لك. اللهم يا ذا الجلال يا من يملك زمام يوم القيامة أعني يارب».

ولما فرغت من صلاتي شعرت أنني خفيف الحمل سعيد لا تثقلني الهموم. فنمت طيلة الليل.

أسفار إلى بلاد المسلمين :

ثم حدثت الثورة الهنغارية فغادرت وطني وسافرت إلى انجلترا. ومضت سنوات عديدة ولكن حبي وإعجابي بالعرب والبلاد العربية لم ينته، ولما أتيحت لي فرصة العمل على ظهر سفينة من السفن سافرت على ظهرها عبر قناة السويس والبحر الأحمر حتى وصلت إلى عدن ثم إلى استراليا. وكانت تجربة مثيرة للغاية قابلت خلالها العرب فأحسست منذ اللحظة الأولى أنني واحد منهم، كان قلبي يدق بشدة، وكنت أشعر أنني أصبحت إنساناً جديداً. ولم أكن أحس أنني في بلد جديد وإنما شعرت أن هذه البلاد الغريبة بلادي.

أحسست وكأن التاريخ يحيط بي، ونظرت شمالي فوجدت شبه جزيرة سيناء والتفت إلى اليمين فرأيت مصر، فقلت: هذا هو موطني. ولشدة تأثري نسيت أنني على ظهر سفينة عابرة، إلا أنني لم أكن أعرف في ذلك الحين عن الإسلام - دين العرب - إلا النزر اليسير. ولم أكن أشعر بالتعب رغم الإرهاق البدني الكبير الذي ينتابني ، ومن عمق هذه التجربة الحبيبة شعرت أن هذه الأرض والماء والهواء كلها لي، لأنني أنتمي إليها.

وسافرت السفينة مسرعة حتى كانت السعودية عن يساري، تلك الأرض الطيبة المقدسة حيث تقع مكة المكرمة، ونادى مناد أن ها قد وصلنا إلى عدن. وكنت حتى تلك اللحظة لم أتحدث إلى أي عربي. وكانت عدن البلد الوحيد الذي استطعت فيه أن أخاطب العرب، وما ذلك إلا لتأخر السفينة وانتظارها في ذلك البلد، وكنت أنادي الناس: «يا إخوتي!» لأنني لم أكن أحس أنني غريب عنهم. بل شعرت أنهم أهلي.

حياة محمد ﷺ :

كان عملي في السفينة معاوناً لبائع الكتب. وكنا نبيع كثيراً من المؤلفات. وفي أحد الأيام عندما كنا على مقربة من أستراليا أوصدنا المحل وانتقيت لنفسي كتاباً مسلياً كان بعنوان «حياة محمد» أخذت أطالعه. وكان كتاباً عظيم الأثر في نفسي إذ لم أستطع أن أتركه حتى فرغت من قراءته. ففهمت منه عن الإسلام ما كنت بحاجة إلى معرفته، وكان في نفسي حنين لا أستطيع أن أكتمه إلى الجزيرة العربية وبعد أن وصلنا إلى أستراليا ومكثنا فيها ما قدر لنا أن نمكث انطلقت السفينة عائدة إلى انجلترا.

وهناك واجهت مصاعب جمة، كان لزاماً على أن أوفر لنفسي عملاً آخر ومسكناً وشغلني ذلك حيناً من الدهر، إلا أن حنيني إلى بلاد العرب لم ينطفئ، فاتصلت بهيئة الصليب الأحمر الدولية للعمل معها كممرض في بلاد العرب، إلا أنه لم يسعفني الحظ في الحال، ومضى عام ونصف عام استطعت بعدها أن أذهب إلى السعودية ثم إلى بلاد اليمن.

أعلنت إسلامي :

لا أستطيع أن أصف مشاعري حين وصلت إلى جدة، فقد بلغت قمة السعادة، إذ هممت أن أقبل ثراها، وفي جدة التقيت برجل أوروبي مسلم وجهت إليه كثيراً من الأسئلة عن الإسلام، فتعلمت منه الكثير، وعندها أعلنت إسلامي وآمنت بالدين الحق، وبذلك أصبحت إنساناً جديداً، لقد أحسست وكأنني ولدت من جديد.

لم يمض وقت طويل حتى سقطت فريسة المرض، فلم أستطع أن أتحمل المناخ في جدة، وهنا لم يكن بد من الرحيل عنها، فركبت السفينة وتوجهت إلى بيروت، وقضيت رحلة ممتعة حتى بلغت بيروت، ولما توجهت السفينة تلقاء لندن أخذت أبكي طوال الوقت حتى بلغت جنيف، وفي شهر سبتمبر وصلنا إلى لندن فوجدنا المناخ بارداً شديد البرودة هناك بحيث كنت أحتبس في غرفتي الخاصة، وحاولت الاتصال بالمركز الإسلامي في تلك المدينة ولكن دون جدوى، وعثرت على عمل في مستشفى سبق لي أن عملت فيه.

ولما كان والدي يعيش في كندا دعاني للسفر إلى تلك البلاد فلبيت الدعوة، وقد يعجب القارئ لو علم أنني كنت أشعر بالشقاء التام لا لشيء إلا لأن جميع محاولاتي

للذهاب إلى بلاد العرب قد باءت بالفشل، وكندا بلاد بعيدة لا أستطيع بحال من الأحوال أن أوفر المال الذى أغطى به نفقات السفر إلى الشرق الأوسط، وما أن وصلت إلى كندا حتى عثرت فى الحال على عمل لى إلا أننى مرضت منذ اللحظة الأولى، وقضيت فى المستشفيات فترة طويلة من الزمن، وكنت فى تلك الأثناء اقرأ كتباً كثيرة عن الإسلام الحنيف.. وأخذت أبحث عن واحة للإسلام في تلك الديار، حتى عثرت فى نهاية المطاف على عنوان فى إحدى الصحف الكندية المحلية ألا وهو عنوان المركز الإسلامى الكندى فى أدمنتون (Edmonton) إلا أن تلك المدينة كانت تبعد حوالى ٣٠٠٠ كيلو مترا عن البلد الذى نزلت فيه، فماذا ترانى فعلت؟ لقد كتبت إلى إخوتى فى الإسلام فى أدمنتون فسرعان ما جاءنى ردهم بأن لى بعض الإخوة المسلمين فى مدينتى، فطفقت من فورى أبحث عنهم، وفى اليوم ذاته كنت فى طريقى إلى المركز الإسلامى فى مدينتى.

منذ ذلك الحين ذهب عنى الشقاء والشعور بالوحشة، فلم أعد وحيداً كما كنت من قبل، وفى ظل الإسلام تمتعت بالسلام النفسى، إذ أن هذا الدين السماوى يمنحنى القوة وها هى ذى حياتى اليومية قد غدت ميسرة للغاية، فقد سهل على أن أتجه بكل كيانى إلى الله عز وجل، وها أنذا قد حضرت إلى الكويت كى أعيش بين إخوتى فى الدين، ولا أريد أن أعود إلى أى بلد فى الدنيا، لا إلى أمريكا ولا أوروبا ولا أى مكان آخر، لأننى سعيد لقربى من الأراضى المقدسة، وكلما أقرأ المزيد عن الإسلام وعن رجالاته أحس دوماً بأن هذا الدين هو الدين الحق، إننى أشعر أننى فى بلادى وبين أهلى، لذلك كله فأنا سعيد غاية السعادة(*).

❋ ❋ ❋

(*) هذه القصة من فم الأخ المسلم جوليوس ورفر شخصيا وقد سلمها لى عندما كان يعمل ممرضا لدى وزارة الصحة فى الكويت، ولكنه سافر إلى السعودية مؤخرا ثم جاءتنى منه رسالة علمت منها أنه عاد إلى كندا. ثم وردتنى منه الرسائل تباعا قال لى فى إحداها: أن الناس فى أمريكا يبحثون عن دين جديد، دين يتناسب مع الفطرة السليمة، فمنذ أسابيع خلت، حدثت ضجة فى الصحف الكندية. إذ أن إحدى كبرياتها قد أعدت مقابلة مع أربعة من صغار الشبان الكنديين، ثلاثة منهم نصارى يمثلون شتى الفرق ويهودى ووجهت لهم السؤال التالى: هل الله حى أم ميت؟ فأجاب الثلاثة النصارى بأنه ميت وقال اليهودى بأنه موجود ولكن لا شأن له به، كما هاجموا جميعا الكنائس والمعابد التابعة لدينهم - المترجم.

إنجلترا:

٢١- عبد الله أرشيبالد هاملتون

(أرشيبالد واتكنز هاملتون سابقًا)

(قائد في سلاح الدفاع الملكي البريطاني)

تعريف في سطور

عرف السيد عبد الله آرشيبالد هاملتون قبل إسلامه بلقب (سير شارلز إدوارد آرشيبالد واتكنز هاملتون) اعتنق الإسلام في العشرين من ديسمبر ١٩٢٣ وكان سياسيًا إنجليزيًا معروفًا. وكان قد نال لقب بارون من الدرجة الثانية في عام ١٩١٩. أما ميلاده فكان في العاشر من ديسمبر ١٨٧٦. وقد شغل منصب قائد في سلاح الدفاع الملكي البريطاني، كما كان رئيسًا لجمعية سلسي للمحافظين. وفيما يلي حديثه الذي أنقله عن كتاب Islam Our Choice الصادر في باكستان عن أوقاف السيدة المسلمة عائشة بواني وهو باللغة الإنجليزية:

***

لقد ظل جمال الإسلام ونقاؤه البسيط يشدني إليه دائمًا منذ أن بلغت سن الرشد. ولم يكن بوسعي قط، رغم ولادتي ونشأتي في بيئة نصرانية، أن أؤمن بالجانب التعسفي من الكنيسة، وكنت على الدوام أقدم المنطق والعقل على الإيمان الأعلى المجرد. وبمرور الزمن تمنيت أن أعيش بسلام مع خالقي وأيقنت ألا فائدة لي من كلا الكنيستين الإنجليزية، وكنيسة روما على حد سواء.

أصبحت إنسانًا حقيقيًا:

كان اعتناقي للدين الإسلام تلبية خالصة لما يمليه ضميري، ومنذ ذلك الحين وأنا أحس أنني غدوت رجلاً أفضل وأصبحت إنسانًا حقيقيًا، ليس هناك أي دين من الأديان تعرض لمثل ما تعرض له الإسلام من إساءة على يد الجهلة والمتزمتين. ولكن ياليت قومي يعلمون!



إن الإسلام يمنح القوة للضعيف والغنى للفقير. وتنقسم البشرية فى نظرى إلى ثلاث طبقات: الأولى هى طبقة أولئك الذين حباهم الله من فضله وآتاهم ملكًا وثروة. والطبقة الثانية تتمثل فى الذين لا مناص لهم من الكد والعمل لكسب قوتهم. وأخيراً هناك الحشد الهائل من المتعطشين أو الذين سقطوا على جانب الطريق بلا جريرة من أنفسهم.

هذا ويعترف الإسلام بالعبقرية والنبوغ والتميز الشخصى. فهو دين بناء وعمارة لا دين تخريب. فإن كان هناك على سبيل المثال رجل يملك أرضًا وهو على جانب من الثراء فلا يحتاج إلى فلاحة أرضه وقد تركها بوراً، فإذا انقضت مدة معينة على ذلك الحال تنتقل ملكيتها بصورة طبيعية إلى الأراضى العامة، وتنص الشريعة الإسلامية على أن ملكيتها تنتقل إلى يد أول رجل يقوم بزراعتها[1].

والإسلام يحظر على معتنقيه لعب الميسر والانخراط فى أية صفقة من صفقات اليانصيب، كما يحرم كافة المشروبات الكحولية ويمنع الربا الذى كان فى حالات كثيرة سببًا فى الأسى والشقاء الذى أصاب بنى الإنسان. لذلك فالإسلام يحول دون أى نوع من الاستغلال الدنىء قد يقترفه أحد الناس ضد التعساء.

ونحن المسلمين لا نؤمن بالقدرية ولا بالجبرية وإنما نؤمن بالقضاء والقدر، فالعقيدة بلا عمل تعتبر فى رأينا أمراً لا وجود له، لأن العقيدة لا تكفى إذا لم نسع إلى تطبيقها فى واقع حياتنا، كما نؤمن بأننا سنحاسب على أعمالنا فى الحياة الدنيا وفى الآخرة. وعلى كل منا أن يتحمل أعباءه. فلا تزر وازرة وزر أخرى. والإسلام يؤمن بأن الإنسان يولد على الفطرة مبرأ من الذنوب. كما يقرر أن الرجل والمرأة ينحدران من نفس واحدة وجوهر واحد، وقد زودهما الله بمقدرات فكرية وروحية وخلقية متكافئة. ولا أحسب أننى بحاجة إلى الحديث كثيراً عن مبدأ الأخوة العالمية بين البشر فى الإسلام، فهذه حقيقة مسلّم بها إذ أن الأمير والحقير والغنى والفقير كلهم سواسية، وإننى ألمس دائمًا هذه الروح الكريمة

(١) هذا بالنسبة للأرض الموات التى لا مالك لها، أما الأرض التى لها مالك فيجب أن يزرعها، أو يمنحها أخاه المسلم ليقوم بزراعتها مؤاجرة، أو مزارعة، أو هبة.

بين إخوانى المسلمين كما أثق بحديثهم، فقد لقيت منهم كل معاملة عادلة كرجل عادى وأخ لهم كما تكرموا على أعظم الكرم واستضافونى أحسن الضيافة.

فأنا أشعر دائمًا أننى واحد منهم.

مُوَازَنَة مُهِمَّة :

وفى ختام كلمتى أقول: إنه بينما نجد أن الإسلام يهدى البشرية فى حياتها العملية اليومية، فإن ما يسمى بالنصرانية المعاصرة تعلّم أتباعها بصفة غير مباشرة وفى مجال الواقع أن يعبدوا الله فى أيام الآحاد فحسب، وأن يفترسوا عباده ومخلوقاته فى بقية أيام الأسبوع.

❊❊❊

إنجلترا :

٢٢- وليم بيرشل بشير بيكارد

بين يدي كلمة المسلم الجديد :

إن صاحب هذه القصة مؤلف وكاتب مشهور. ومن بين مؤلفاته الأدبية بالإنجليزية «ليلى ومجنون» «ومغامرات القاسم» وكتاب «عالم جديد» وغيرها. وهو إنجليزى تخرج من كانتربورى Canterbury والقصة منقولة من المصدر السابق ذكره فى القصة السابقة.

* * *

قال رسول الله ﷺ ما معناه:

«يولد ابن آدم على الفطرة، وأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه»[(١)] صدق رسول الله ﷺ.

لقد مضت سنوات عديدة قبل أن أدرك هذه الحقيقة وأعنى بها ولادتى على الفطرة أى على الإسلام، ففى المدرسة والكلية كنت منهمكًا أكثر مما ينبغى بشئون اللحظة العابرة ومتطلباتها، ولست أعتبر حياتى فى تلك الحقبة من الزمن مشرقة إلا أنها كانت فى تقدم مستمر، فقد تعلمت فى البيئة النصرانية الحياة الطيبة، وكنت أبتهج عند تصور الله وتذكر العبادة والصلاح، وإذا كان ثمة شيء أعبده حينئذ فقد كان ذلك متمثلاً فى النبل والشجاعة.

وعلى أثر تخرجى من جامعة (كامبرج) ذهبت إلى أواسط أفريقيا وعينت فى إحدى

---

(١) معنى الحديث الشريف إن ابن آدم يولد على دين الإسلام - دين الفطرة - كما ورد فى الآية الكريمة ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢]. ومعنى بقية الحديث أن الأبوين هما اللذان يحولان دين أبنائهما إما إلى اليهودية أو إلى النصرانية أو إلى المجوسية. المترجم.

الوظائف الإدارية فى محمية أوغندا، وقد عشت فى تلك البلاد حياة ممتعة مثيرة إلى درجة لم أكن أحلم بها من قبل فى بلادى إنكلترا، واضطرتنى الظروف إلى العيش بين إخوانى السود الذين أحبهم حبًا جمًا تبعًا لنظرتهم إلى الحياة التى اتصفت بالبهجة والبساطة، وكان الشرق يستهوينى بصورة دائمة، وكنت قد قرأت فى كامبرج قصص الليالى العربية (ألف ليلة وليلة) كما قرأتها وحيداً فى أفريقيا، كما أن حياة التجول التى قضيتها فى محمية أوغندا لم تجعل الشرق أقل معزة عندى.

أهوال الحروب:

ثم قامت الحرب العالمية الأولى فأودت بحياتى الهادئة، إذ أسرعت بالعودة إلى أوربا وتدهورت صحتى. وما أن تم شفائى حتى قدمت طلبًا للالتحاق بالجيش إلا أن طلبى قوبل بالرفض لأسباب صحية، فعوضت ذلك بأن التحقت بسلاح الفرسان المتطوعين فى الجيش، وتمكنت من النجاح فى الفحص الطبى واستلمت حلة عسكرية كجندى فى سلاح المشاة مما بعث السرور فى نفسى، وخدمت فى فرنسا فى الجبهة الغربية واشتركت فى معركة الصوم Somme التى وقعت فى عام ١٩١٧م فجرحت فيها وأصبحت أسير حرب، فسافرت عبر بلجيكا إلى ألمانيا وهناك نزلت المستشفى وفى ألمانيا شاهدت كثيراً من صور البؤس والألم الذى تعرض له بنو الإنسان وخاصة الروس الذين أهلكتهم الدوزنتاريا (Dysentry) وكنت على شفا الموت من شدة الجوع، ولما كنت أعانى من تمزق فى ذراعى الأيمن لم يلتئم جرحى فى الحال وإنما استغرق ذلك وقتًا طويلاً كنت خلاله عديم النفع بالنسبة للألمان، لذلك أرسلت إلى سويسرا للعلاج وإجراء عملية فى المستشفى.

ترجمة معانى القرآن:

وأذكر جيداً كيف كتبت رسالة إلى وطنى أثناء إقامتى فى ألمانيا طلبت فيها نسخة من ترجمة چورچ سيل لمعانى القرآن(*).

(*) وهى ترجمة محرفة بقلم أحد القسس. وخير ترجمة باللغة الإنجليزية بقلم محمد بكثال المؤلف الإنجليزى المسلم واسمها: (The Meanings of The Glorius Koran)، وانظر قصة إسلام (محمد بكثال) نفسه رقم (١٠٠).

وقد علمت فى السنوات التالية أنه تم إرسالها لى ولكنها لم تصل بحال من الأحوال. ثم تماثلت للشفاء فى سويسرا بعد أن أجريت عملية فى الذراع والساق، وأصبح فى مقدورى أن أخرج من المستشفى وأتجول، فابتعت نسخة من ترجمة سافارى (Savary) الفرنسية لمعانى القرآن وهى أغلى ما أملك، فلقيت من مطالعتها أعظم متعة وابتهجت بها كثيراً حتى غدوت وكأن شعاع الحقيقة الخالد قد أشرق علىّ بنوره المبارك، ولما لم تزل يدى اليمنى متعطلة أخذت أتدرب على كتابة القرآن بيدى اليسرى، ومما يوضح مدى تعلقى بالقرآن أن من أعظم الذكريات الحية الباقية فى نفسى من الليالى العربية قصة الشاب الذى تم اكتشافه وحيداً فى مدينة الموتى، وهو جالس يقرأ القرآن من غير أن يحس بما كان يدور حوله.

آمنت بالله والقرآن :

وفى تلك الأيام التى قضيتها فى سويسرا كنت مستسلمًا لله بكل معنى الكلمة، وبعبارة أخرى كنت مسلمًا، ثم عدت إلى لندن فى ديسمبر عام ١٩١٨ عقب توقيع اتفاقية الهدنة، وبعد ذلك بعامين أو ثلاثة أى فى عام ١٩٢١ التحقت بدورة للدراسة الأدبية بجامعة لندن، وكانت اللغة العربية أحد الموضوعات التى وقع اختيارى عليها، فأخذت أستمع للمحاضرات التى ألقيت عن اللغة العربية فى كلية الملك (Kings College)، وفى تلك الكلية وقف أستاذ اللغة العربية فى أحد الأيام وهو المرحوم السيد بلشاه - وكان من العراق - فذكر فى معرض دراستنا القرآن الكريم فقال: «سواء آمنت به أو لم تؤمن فلا بد أن تجده كتابًا ممتعًا للغاية جديراً بالدراسة» فكان جوابى على ذلك أن هتفت قائلاً: «آوه! ولكنى أومن به حقًا!» فأدت هذه الملاحظة إلى إثارة الدهشة والاهتمام الشديد فى نفس الأستاذ. فدعانى بعد وقت قصير إلى مرافقته إلى المصلى الكائن فى نوطنج هيل جيت (Notting Hill Gate).

إنضمامى إلى أمة الإسلام:

وأخذت بعدها أكثر من الذهاب إلى ذلك المصلى. وتعلمت المزيد عن الجانب

التطبيقى فى الإسلام حتى كان يوم رأس السنة الميلادية الجديدة فى عام ١٩٢٢م حين أعلنت على الملأ انضمامى إلى أمة الإسلام. كان ذلك قبل أكثر من ربع قرن مضى[١]. ومنذ ذلك الحين وأنا أعيش عيشة إسلامية صرفة من الناحيتين النظرية والعملية وبالقدر الذى أستطيع، إن قوة الله وحكمته ورحمته لا حدود لها، وإن آفاق المعرفة تمتد أمامنا إلى ما وراء الأفق، وإننى على يقين تام بأن خير لباس يمكننا أن نرتديه فى رحلتنا عبر هذه الحياة هو لباس الإسلام والخضوع لله، وأن نجعل الحمد فوق نواصينا وأن تكون محبة الله الواحد الأحد ملء قلوبنا.

❁❁❁

(١) هذا بالنسبة لتاريخ كتابة هذه القصة من قبل صاحبها عام ١٩٤٩م تقريبًا، وهذا يدل على ثباته على الإسلام الذى دخله عن طواعية وفهم عميق.



اليابان:

٢٣- آمنة سعد ناكامورا وأختها

(أختان يابانيتان تعتنقان الإسلام)

كان السيد «ناكامورا» واسمه الإسلامي «سعد» أحد اليابانيين الستة الذين اعتنقوا الإسلام أثناء الفترة التي أقمناها في «النيجي» أشهر معبود للبوذيين في مدينة «أنزان» التي تبعد مائة كيلو متر جنوبي طوكيو.

نحو الإسلام:

وقد كان سعد هذا محمود السيرة ميسور الحال قوى التأثير في قريته بمقاطعة «يمنشى» وقد أثبت سعد ناكامورا فيما بعد أنه مسلم حقًا. ارتحل على حسابه الخاص إلى الباكستان والهند ليتعلم الإسلام فى مجاله العملى، وكان له ثلاث بنات إحداهن متزوجة من صاحب مطبعة، والأخريان ولعلهما توأمان، تدرسان معًا فى جامعة طوكيو فى السنوات الأخيرة قبيل التخرج، وكانت اللغة الإنجليزية هى موضوع تخصصهما المشترك، وكان سعد ناكامورا مهتمًا جداً بشأن إسلام ابنتيه اللتين تدرسان فى الجامعة، إذ قد يستفاد منهما كثيراً فى نشر الإسلام بين اليابانيات، فكتب إلينا ذات مرة لكى نقابل الأختين وندعوهما إلى الإسلام، وحدد الموعد تلفونيًا، وفى إحدى الأمسيات زرنا بيت صاحب المطبعة وقابلنا الأختين، بيد أننا وجدنا جو المنزل غير لائق بمهمتنا المقدسة، فالصور غير اللائقة منتشرة هنا وهناك على الجدران، وبرامج التلفزيون كذلك من الأمور التى لا توائم هذه الزيارة.

فأرجأنا الاجتماع بعد مقدمة قصيرة عن الإسلام ودعوناهما إلى منزلنا لتناول الطعام فلبتا الدعوة بدون تردد إلى عشاء باكستانى فى يوم الجمعة التالى.. ذلك العشاء الذى اتخذناه وسيلة لمناقشة أخرى عن الإسلام. فالحاجى قائد جماعتنا المحترم، بجانب ما يتحلى به من صفات عجيبة فى عقله وقلبه، كان طاهيًا ممتازاً جداً (للبلاد) وهو الطبق الباكستانى المشهور الذى جعلناه طُعمًا دائمًا عندما كنا نريد أن ندعو أصدقاءنا اليابانيين.



إشكال مفاجيء:

وحضرت الأختان ناكامورا في الموعد المضروب. وكنا قد بسطنا المائدة قبل حضورهما ولكنهما أعلنتا حين وصولهما بأنهما لن تتناولا أي شيء ما لم تعرفا باديء ذي بدء ماذا يقول الإسلام عن المرأة.. ، وقد علمنا فيما بعد بأنه بعد مقابلتنا الأخيرة لهما قام أحد أعداء الإسلام بتسميم أذهانهما عن الدين الإلهي بإخبارهما أن الإسلام كان شديد القسوة على النساء، وأنهن لا يعاملن في الإسلام على قدم المساواة مع الرجال من حيث الامتيازات والحقوق، إلى حد أنه حرمهن كثيراً من مباهج الحياة الدنيا والآخرة، ولم نكن آنذاك مستعدين لمثل هذا التطور المفاجيء، وكانت التعليمات عندنا بأن نلجأ إلى الله عز وجل نسأله العون، لمواجهة هذه المفاجآت، وأظن أننا فعلنا ذلك.

هداية الله:

فإذا بفكرة تفاجيء عقلي وإذا بي أقول للفتاتين: أتريدان أن تريا بنفسيكما ماذا قال الله عز وجل عن هذه المسألة؟ فأعلنتا قائلتين: سيكون ذلك جميلاً.. فذهبت بهدوء إلى رف الكتب وأمسكت بالقرآن المجيد ترجمة محمد بكثال، وطلبت من الأختين أن تقرآ معنى الآية الكريمة: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

لم يحدث من قبل أن مررت بتجربة رأيت فيها تأثير الكلمات الإلهية بهذه السرعة المدهشة على غير المسلمين مثلما رأيته على هاتين النفسين الطيبتين اللتين قالتا بتعجب: يا لها من مساواة تامة!!

وبدون أن أطيل الشرح أقول بأنهما استطاعتا أن تتحققا من أنه لا يوجد مانع في الإسلام يعوق المرأة من الوصول إلى الذروة العليا من الفوز والتقدم.

وعلى كل فإن من السخافة والحماقة أن يطالب أحد من النساء أو الرجال بالتساوي



مع النوع الآخر، فى العمل الذى لا يليق ولا يناسب الطرف الثانى، من حيث التركيب الفسيولوچى لأجسامهما، فإذا قام أى رجل بعمل يبتغى من ورائة الفوز بالجنة فليس هناك ما يمنع المرأة من أن تقوم بمثل هذا العمل بغية الفوز بالجنة.

ثم إن التوأمين طلبتا منا أن نذهب إلى الغرفة المجاورة وأن نتركهما وحدهما دقائق معدودة لتبادل الرأى والمشورة فأعطيناهما كافة التسهيلات، وإنه لمن أعظم سرورى فى الحياة أن الأختين عادتا بعد دقائق لتعلنا قولهما:

إسلام الأختين:

«لقد اقتنعنا أن الإسلام وحده هو الدين الحق وأننا نرجوكم قبولنا فى دين الإسلام قبل أن نتناول طعام العشاء». فكانت كلمة (الحمد لله) تتردد على شفتى كل واحد منا، وكان سرورنا لا تحده حدود حقًا. وبعد إجراء بعض الأمور الرسمية الضرورية طلب منهما قائدنا أن تكررا الشهادتين فكررتاهما وكانتا متلهفتين على أن نختار لهما أسماء إسلامية، فأسمينا واحدة (آمنة) باسم أم الرسول ﷺ، وأما اسم الأخرى فقد غاب عن ذاكرتى الآن.

وعندما جلسنا جميعًا لتناول الطعام كانت الأطباق التى طهاها لنا الحاجى أشهى مذاقًا فى فمى ألف مرة من أى طبق ذقته من قبل(*).

❊❊❊

(*) المتحدث هو أحد دعاة الإسلام فى اليابان وكان يدرس هناك ويقوم فى وقت فراغه بالدعوة الإسلامية بين اليابانيين، وقد كتب الكلمة السابقة ونشرها فى مجلة حضارة الإسلام الغراء العدد الثامن – السنة الرابعة – مارس ١٩٦٤ (صفحة ٥٠).

أمريكا :

٢٤- محمد عبد الله (*)

(دونالد ركويل سابقاً)

ولد السيد دونالد ركويل في تيلورفيل (Taylor Ville) بالولايات المتحدة الأمريكية، وتلقى علومه في مدرسة «سبرنج فيلد» (Spring Field) العليا بواشنطن. ثم أتم دراساته في جامعات واشنطن وكولومبيا حيث نال جوائز كثيرة، وهو شاعر وناقد أدبي وكاتب صحفي، وهو يشغل منصب رئيس تحرير مجلة «الشخصيات الإذاعية ج» وقد تسمى باسم محمد عبدالله بعد إسلامه تيمنا باسم الرسول ﷺ، ولماذا اعتنق الإسلام دونالد ركويل؟

فلندعه هو شخصياً يتكلم عن ظروف إسلامه قال :

لماذا أسلمت ..؟

لقد جذبني إلى الإسلام عوامل كثيرة، ودواع مختلفة لا أستطيع حصرها أو الوقوف عليها جميعًا، لأن منها الظاهر الجلي الذي لا يماري فيه إنسان، ومنها الباطن الخفي الذي يغوص في أعماق الروح ويكمن في خبايا الضمير، لقد قرأت عن الإسلام وقرأت القرآن وشيئًا من سيرة محمد بن عبد الله النبي الكريم. فلفت نظري أشياء كثيرة:

محاسن الإسلام :

* لفت نظري بساطة العقيدة الإسلامية وسهولتها، فليست هناك أسرار ولا ألغاز تؤمن بها ولا تناقشها، بل مرد الإيمان إلى العقل، والنظر في ملكوت الله، وأن ما في الكون من نظام بديع يهدي - ضرورة - إلى وجود إله متصرف له ﴿ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤] فإذا عرفت الله وآمنت بوجوده فالإسلام يقول لك إن الله أقرب إليك من حبل الوريد، والله يخبرك عن نفسه فيقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

(*) عن مجلة حضارة الإسلام العدد السابق.

فلا ضرورة من ثم إلى وسيط بينك وبين خالقك ولا حاجة بك إلى كاهن تعترف له فيقبل التوبة منك، أو هيكل لا تتم العبادة إلا فيه:

﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥].

* وراعنى حقًا، تلك السماحة التى يعامل بها الإسلام مخالفيه. سماحة فى السلم وسماحة فى الحرب.. ولين بيّن مع أهل الكتاب من نصارى ويهود. والجانب الإنسانى فى الإسلام واضح ملموس فى كل وصية من وصاياه وفى كل تشريع جاء به، فالناس وإن اختلفوا فى حظوظ الدنيا ومتاعها متساوون أمام الله، لا فضل لأحد على آخر بسبب غنى أو جنس أو لون.. وإنما يتفاضلون بالتقوى. وللفقير والعاجز والمحتاج حقه المعلوم على القادرين يؤدونه زكاة واجبة.

* والإسلام لا يقعد بمتبعه عن ركب التقدم والعمران بل يأمر الناس أن يأخذوا بالأسباب، كما قال النبى الكريم عليه الصلاة والسلام: «.. اعقلها وتوكل». وهو لا يحرم الإنسان الطيب من متاع الدنيا، كما قال تعالى:

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [القصص: ٧٧].

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

كثير من محاسن الإسلام فى عقائده وعباداته ومعاملات - لا يمكننى حصره ها هنا - دعانى إلى اعتناق ذلك الدين. وإذاكان ما ينبغى أن أختم به الكلام فهو تلك العظمة التى تطالع كل من يقرأ سيرة الرسول وتاريخه. .. عظمة فى الدعوة.. عظمة فى الشخصية.. وعظمة فى الجهاد... فلا جرم أن يكون محمد ﷺ خاتم النبيين. وقد أسميت نفسى «محمد عبد الله» تيمنًا بتلك الشخصية الكريمة وإعجابًا بسجاياها الكاملة.

وبالله التوفيق

تشيكوسلوفاكيا:

٢٥- فاطمة تزفسكن

أو (مونيكا) سابقًا

Fatima Zucsken

– مقدمة –

لقد كان من أثر احتكاك الطلبة المسلمين الذين يتابعون دراستهم العالية في ديار الغرب بالطلاب الأوروبيين أن اعتنق عدد غير قليل من هؤلاء الإسلام، وفيما يلي قصة فتاة تشيكوسلوفاكية كانت تحمل اسم (مونيكا). وتدل هذه الظاهرة دلالة واضحة على مدى حاجة الناس إلى الإسلام الذى يحقق الأمن والسلام والسعادة لأرواحهم ونفوسهم، وأسرهم ومجتمعاتهم،ويخرجهم من الظلمات إلى النور. كما تدل على قدرة الإسلام العجيبة على فتح مغاليق القلوب والعقول في كل زمان ومكان وفي كل الظروف، متى وجد من يحسن عرضه ومتى وجد من يجسده بسلوكه وأخلاقه وتصرفاته، والآن مع الآنسة فاطمة في قصة إسلامها(*).

* * *

س: ما هو الاسم الجديد الذى وقع اختيارك عليه وماذا كان اسمك في السابق؟

جـ: اسمى الجديد «فاطمة كزفسكن» Fatima Zucsken وكان اسمى النصرانى مونيكا Monika.

س: كم هو عمرك وما عملك؟

جـ: ولدت في ١٩٤٣/٩/٢ في نويتتشاين (Neutitachein) في تشيكوسلوفاكيا وعملى هو الرسم الهندسى.

(*) نقلاً عن مجلة حضارة الإسلام، العدد الثانى، السنة الخامسة.

س : لماذا اعتنقت الإسلام؟

ج: عندما يواجه الأشخاص من البلاد غير الإسلامية السؤال التالي: هل كان محمد فيلسوفاً أم أنزل إليه الوحي من عند الله؟ وعندما تستقر أنفسهم على الشق الأخير من السؤال فتلك علامة مباشرة على رحمة الله بهم. أما بالنسبة للفرد ذاته فتلك نهاية بحث طويل، فطرياً كان أو إرادياً عن الطريق الموصل إلى الحقيقة والذى هو الحقيقة ذاتها. وفى نفس الوقت يبتدئ العبور السعيد لهذا الطريق الذى اختاره الله للوصول إليه.

الطريق الطويل وهداية الله:

لقد بدأ هذا الطريق الذى أوصلنى الله من خلاله إلى الإسلام قبل أن أهتم بأمر هذا الدين بزمن طويل، منذ وقت مبكر وأنا أهتم بالاتجاهات الفلسفية والدينية المختلفة وأجمع عنها قدر ما أستطيع من المعلومات، ولابد أن السبب فى ذلك كان شعورى بحاجتى إلى شيء ما لا أستطيع تحديده، ولكنى كنت أعرف بفطرتى أن هذا الشيء موجود فى داخلى وأننى لابد أن أعثر عليه، واستطعت أن أقدر قيمة الحضارة الشرقية حق قدرها إلى حد كبير عن طريق دراستى للمذاهب المختلفة ورحلاتى الكثيرة التى قمت بها فى البلاد الأجنبية.

وكان اتصالى بالمسلمين فى ألمانيا دافعاً لى على الاهتمام بأمر هذا الدين، ولم تكن انطباعاتى المبدئية ممتازة بحال من الأحوال، فتعطل طريقى إلى المعرفة كثيراً لأن المسلمين الذين عرفتهم كانوا ممن ينتمون إلى الاتجاه التحفظى القديم، أو ممن كانوا لا يعرفون إلا الإسلام المشوه الذى يطبقه الناس فى بلاد الشرق، ورغم ذلك كنت معجبة بمستواهم الخلقى المرتفع بصفة عامة.

ولم يتبين لى الفرق الشاسع بين تعاليم الإسلام وبين كثير من العادات الشرقية إلا عندما دخلت عالم الإسلام الروحى عن طريق القرآن والكتابات الإسلامية وعن طريق محاضرة للأستاذ عمر ف. اهرنفلز (المسلم الألمانى). وقرأت فى القرآن الآية: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] فشعرت ببطء كيف يجذبنى الإسلام، وكانت تعاليمه تخاطب عقلى وفطرتى، وكان من أهم ما شدنى إلى النظام

الاجتماعي المثالي في الإسلام تساوي جميع الأجناس والتسامح الذي لا حد له، والحرية التامة في جميع المجالات الدنيوية والروحية، وكذلك الاعتراف بالحياة الدنيا من غير مبالغة، والاجتهاد في طلب العلم الذي يعتبر فريضة على كل مسلم ومسلمة، وأعجبت بصورة عامة بالمكانة المرموقة التي أعطيت للمرأة. وأخيراً وليس آخراً أعجبت بالعلاقة المباشرة بين العبد وربه.

ومن أجل أن أكون على بصيرة أخذت أتلو كتاب الله القرآن الكريم، إلا أنني كنت أقرأه بقلب مسلم إذ بدا لي في غضون ذلك أن الإسلام وحده هو الطريق الذي علمه الله للناس منذ بدء الخليقة وأنه هو الحق.

س: ما هو تاريخ اعتناقك للإسلام؟

ج: دخلت الإسلام رسمياً بتاريخ ١٩٦٣/٤/٢١م.

س: ما الذي أعجبك في الدين الإسلامي على وجه الخصوص؟

دين التكامل الروحي والعقلي:

ج: في اعتقادي أنه يصعب علي أن أحدد نواحيَ معينة أعجبت بها من بين تعاليم الإسلام. إذ من العسير على المرء أن يفهم تفصيلات الإسلام وجزئياته ما لم يكن قد أحاط به بصفة كلية. فكل شيء في الإسلام وثيق الصلة بالآخر. ولذا فإن المسلم المؤمن لا يمكنه أن يركز كل اهتمامه في موضوع واحد فحسب، لأن القرآن الكريم يعالج كافة النواحي الدنيوية والروحية. وكل كلمة فيه على درجة كبيرة من الأهمية والسمو لأن كل كلمة فيه من عند الله سبحانه. ولذلك فإنني حين أحاول الإجابة عن هذا السؤال أعرف تماماً مقدار قصور إجابتي.

والمسألة تختلف إن كنت سأقصر إجابتي على المطالب الشخصية أو أجعلها تشمل كل ما ينظم حياتي في المجتمع. أما ما يتعلق بي شخصياً فأكثر ما يهمني من تعاليم ديني هو تلك المعلومات والقواعد التي تعينني على تحقيق التكامل الروحي والعقلي أي الناحية الروحية والعقلية. أما ما يختص بواجباتي في المجتمع فهنا تبرز أهمية المبادئ الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الإسلام لأنني بفضل فهمي الجيد لهذه النواحي أستطيع أن أساهم في العمل على تطبيق الإسلام تطبيقاً سليماً.

س: كيف كان رد الفعل بالنسبة لعائلتك وأصدقائك ومعارفك عندما اعتنقت الإسلام؟

جـ: كان رد الفعل متنوعاً إلى درجة كبيرة، فكان اعتناقى للإسلام فرصة طيبة لأن أعرف أى الناس يهتم بى أكثر من اهتمامه بالأفكار المتحاملة الضيقة الأفق، أما والدتى فقد قالت لى والدموع فى عينيها: «إن سعادتك ورضاك يا بنيتى هما أعز شىء عندى» وأما جدتى فبعد دراسة قصيرة للإسلام تأكد لها أنه دين رائع وشىء لم تكن تتصور إمكان وجوده من قبل، إلا إن إحدى صديقاتى أعلنت بكل صراحة عن رأيها بقولها: «إنك لا شك قد جننت. وإننى أريد قطع علاقتى معك بالمرة»!

وهكذا قابلتنى شتى أنواع المشاعر ابتداء من التقدير المخلص لموقفى حتى العداء الصريح وبين هذا وذاك كثير من التهكم واللامبالاة.

س: ما هى أحسن وسيلة فى رأيك لنشر تعاليم الإسلام؟

جـ: لا يوجد للأسف عند المسلمين حالياً إمكانيات كثيرة، وأبسط وسيلة يستطيع العامل للإسلام أو الطالب المسلم أن يستخدمها هى أن يكون مثلاً طيباً، كما يستطيع بالمظهر النظيف والخلق المهذب المتسامح والثبات على تطبيق الفرائض الدينية أن ينقل إلى غير المسلمين من حوله صورة إيجابية عن الإسلام. أما إذا أراد أحد من غير المسلمين المهتمين بمحاولة سبر أغوار العالم الروحى فى الإسلام فكثيراً ما تعجز إمكانات المسلمين فى هذا الصدد عن توفير السبيل له لذلك، وأعنى بذلك التربية الإسلامية فى محيط إسلامى، لذلك ينبغى على كل أخ مسلم وأخت مسلمة أن يوطدا علاقتهما بأقرب جماعة إسلامية حيث يستطيعان أن يزداد علماً على يد أهل العلم من المسلمين وأن يرشدا غيرهما من المهتمين بهذا الدين.

وأفضل أساس يمكن أن يقوم عليه انتشار الإسلام بصورة مجدية سريعة هو اتحاد الأقطار الإسلامية بعضها مع بعض، فعندئذ تتوقف الدعاية المضادة للإسلام التى تنشرها الدول غير الإسلامية، لأنها ترى فجأة أمام عينيها قوة هائلة للعالم الإسلامى المتحد، ولأغراض سياسية بحتة ستعمل تلك الدول جاهدة على إنشاء علاقات طيبة مع

القوة الإسلامية الفتية، وبالمساعدات المالية يمكن أن تقام المساجد والمراكز الثقافية كما يمكن نشر ترجمات القرآن [١]. والمؤلفات الإسلامية القيِّمة لأن غالبية الترجمات والكتب المؤلفة عن الإسلام باللغات الأجنبية تميل إلى اتخاذ موقف عدائى من الدين الإسلامى.

إن واجب نشر الإسلام لا يقع على البلاد غير الإسلامية وإنما لابد أن يتم ذلك أولاً بين المسلمين، إذ لابد من وجود روح الإسلام الأصيلة فى نفوسهم حتى يتخذ تفكير المسلمين اتجاهاً جديداً مستنيراً، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نحقق النجاح فى الدعوة.

هناك فرصة ذهبية لانتشار الإسلام فى العالم المعاصر، فالإسلام يشتمل على كافة الصفات التى تجعله بحق ديناً عالمياً سرمدياً يمكنه أن يحقق جميع المطالب الروحية والمادية لإنسان هذا العصر.

س: ما رأيك فى الحالة الحاضرة التى يعيشها المسلمون اليوم؟

ج: لقد سعيت إلى إبداء رأيى فيهم فى الإجابات السابقة، وأقول هنا بإيجاز: إن حالة المسلمين المحزنة فى العالم لا تخفى علي أبداً، ولقد عرفت من دراستى لتاريخ الحضارة كيف صاروا إلى ما هم فيه اليوم. فقد كان المسلمون يخلطون العادات الجاهلية بالتقاليد والأخلاق الإسلامية، وكان من واجبهم أن يواجهوا مؤثرات العالم الغربي الذى سبب كثيراً من الاضطراب. ولكن الشعوب المسلمة بحمد الله لا تنقصها العقيدة وإنما تفتقر إلى القيادة الصالحة، والظاهر أن الحكومات فى البلاد الإسلامية تسعى عن قصد إلى تقليد الغرب تقليداً أعمى من أجل الوصول بشعوبها إلى عقيدة مادية لا ربانية بدلاً من العمل على إنشاء دولة إسلامية ربانية. لذلك فإنه ينبغى على جميع الشعوب المسلمة أن تساند الجماعة المسلمة التى تنبهت إلى شر هذا التطور وتريد أن توحد البلاد الإسلامية على أساس ما أمر الله به.

(١) اتفق كثير من علماء المسلمين على أن ترجمة القرآن إلى أية لغة أخرى تعتبر أمراً لا ضرورة له، وإنما يمكن تفسير القرآن باللغات الأخرى. فالقرآن لا يمكن نقله أو ترجمته وحبذا لو يتجه الجهد لإعداد مؤلفات مبسطة للتعريف بالإسلام فى سائر اللغات، وكذلك لتيسير تعليم اللغة العربية لكل راغب حتى يزال الحاجز بين العالم والقرآن العظيم.



س : ما هو أملك وهدفك فى الحياة؟

تميز المرأة المسلمة:

جـ: إنى أود أن أدرس فى إحدى الجامعات الإسلامية عاجلاً أو آجلاً حتى أساهم بثقافتى الإسلامية التى أكتسبها فى نشر الدين الإسلامى الحنيف، كما أن لى رغبة عزيزة فى أن أبين للمرأة فى بلاد الشرق حقوقها الرفيعة الجميلة التى منحها الله إياها فى الدين الإسلامى، وأن أوضح لها مدى تميزها عن غيرها من النساء فى العالم بفضل تمتعها بهذه الحقوق، كما أود بعد عدة سنوات أن أتزوج من رجل مسلم يماثلنى فى انطباعى، وأن أكوّن عائلة مسلمة، وفيما عدا ذلك فجوابى عن السؤال الثالث يبين آمالى، وأننى أجتهد فى التعمق فى فهم أسرار القرآن الكريم.

س : ما الذى يحتاج إليه المسلمون فى أوروبا ؟

جـ: يحتاج المسلمون فى أوروبا إلى معونات أدبية ومالية.. معونة أدبية حتى لا يضعفوا فيقعوا صرعى أمام المغريات الخطيرة التى تقدمها لهم الحياة فى أوروبا ، ومن واجب المسلمين جميعاً أن ينظموا أنفسهم فى جماعات، وكل جماعة ينبغى أن يكون لها إمام وهذا التنظيم يحتاج إلى العون المالى والأدبى، فبفضل هذه الجماعة يتماسك المسلمون ويتعاونون - بعضهم مع بعض - فى السراء والضراء. فلابد فى كل مدينة من مسجد أو حجرة للصلاة يتجمع فيها المسلمون لإقامة الصلاة خمس مرات كل يوم، وقد يستطيع الموسرون منهم أن يساهموا فى ذلك بإنشاء عدد كبير من المساجد والمراكز الإسلامية الصغيرة فى أوروبا.

***

الهند:

٢٦- بيجى رودريك (*)

Peggy Radcrik - India

تحريفات الإنجيل:

ولدت فى بيت إنجليزى إبان الحكم البريطانى لشبه الجزيرة الهندية. وتلقيت تعليمى المبكر فى إحدى المدارس التبشيرية المسيحية حيث كانت الدراسة الدينية موضوعًا إجباريًا. فأعجبت بقصة السيد المسيح. إلا أننى أيقنت فى وقت مبكر من حياتى أن تعاليم الإنجيل ليست صحيحة ولا صادقة[1]. فإذا شئنا أن نطبقها على نطاق واسع فعلى الحضارة الإنسانية السلام. وإليك بعض الأمثلة من تعاليم الإنجيل.

يقول إنجيل لوقا ما يلى على لسان السيد المسيح:

«وإذاجاءنى أى إنسان لا يبغض والده وأمه وزوجته وأبناءه وإخوانه وأخواته بل ولا يبغض نفسه فلا يمكن له أن يكون تلميذى» لوقا ١٤/ ٢٦.

ويقول:

«وهكذا فإن أى واحد منكم كائنًا من كان لا يضحى بكل ما لديه فإنه لا يمكن أن يكون تلميذى» ١٤/ ٣٣.

ونقرأ فى إنجيل متّى:

«لأن هناك بعض الأخصياء جاءوا على حالهم هذا منذ ولادتهم من بطون أمهاتهم، وهناك البعض الآخر أصبحوا كذلك على يد الناس، وهناك أخصياء جعلوا أنفسهم كذلك من أجل مملكة السماء، فمن استطاع أن يبلغها فليبلغها» متى ١٢/١٩.

* عن مجلة يقين انترناشنال النصف شهرية الصادرة فى باكستان عدد ٢٢ نوفمبر ١٩٦٨.

(١) يقصد: التعاليم التى دخلها التحريف البشرى لأننا نحن المسلمين نؤمن بصحة الإنجيل الذى أنزله الله على عيسى عليه السلام.

ويقول المصدر نفسه:

«لا تحكم خشية أن يحكم عليك، لأنك ستحاكم بما تصدره من أحكام. وسيكال لك بالمكيال الذى تكيل به» متى ٧: ١-٢.

«ومن أجل ذلك لا تفكر فى الغد لأن الغد سيتولى التفكير فى شئون نفسه. وكفى اليوم ما به من الشرور» متى ٦ - ٣٤.

«ولكنى أقول لك: لا تقاوم الشر، وإنما من صفعك على خدك الأيمن فأدر له الآخر كذلك، وإذا أراد أحد الناس أن يحاكمك أمام القانون وينتزع معطفك فدعه يأخذ رداءك أيضا، ومن أجبرك على المسير ميلا واحدا فسر معه ميلين» متى ٥: ٣٩-٤١.

هذه التعاليم تصلح للقساوسة والنساك ولا تناسب الناس العاديين من رجال ونساء. فلو شاءت حكومة إحدى الدول الحديثة أن تطبق هذه المبادىء، أو حتى لو أراد أفراد معينون أن يتخذوا منها قانونًا لحياتهم فستكون النتيجة الفوضى والاستهتار بالقانون.

والأمر الثانى الذى لم يعجبنى فى النصرانية هو الفصل بين الدين والسياسة. فقد نجم عن هذا قيام المذهب (الميكافيلى) فى الغرب.

قال السيد المسيح عيسى، كما يزعم إنجيل متى ١٠/٣٤:

«لا تحسب أننى جئت بالسلام وإنما أتيت بسيف».

وينصح تلامذته بقوله:

«من لم يكن لديه سيف فليبع لباسه ويشترى سيفا» لوقا ٢٢/ ٣٦.

القُوَّةُ البَاغِيَةُ:

ورغم ذلك فإن السيد المسيح، كما جاء فى الأناجيل المختلفة، لم يعلم أتباعه الطريقة الصحيحة لاستخدام السيف. فكانت النتيجة أن كان السيف دائما فى يد أتباعه، لكنهم استعملوه في الشر، فكثيرا ما استخدمه الصليبيون فى مضايقة وذبح السكان الأبرياء فى الأقطار غير المسيحية. بل لقد استخدم السيف فى بعض الأحيان من قبل طوائف نصرانية لقتال بعضها البعض باسم المسيح والنصرانية. لقد استخدم السيف على يد

الدول الاستعمارية بتأييد من الكنيسة ومباركتها فى سبيل قهر شعوب آسيا وإفريقيا واستغلالها، ومحو سكان نيوزيلندا الأصليين تماما، كما فعلت فى استراليا وأمريكا الشمالية.

ثم جاءت نقطة التحول فى حياتى عندما أسقط الأمريكيون القنابل الذرية على اليابانيين فى نجازاكى وهيروشيما وذلك فى عام ١٩٤٥. وامتلأت نفسى بالرعب والفزع عندما قرأت عن الوفاة الفظيعة لملايين البشر من الرجال والنساء والأطفال الأبرياء، وعندما علمت بالآلام الشديدة التى لا يمكن تصورها يقاسيها عدد لا حصر له من الناس الذين كان من سوء طالعهم أن نجوا من الموت الفورى، وقضيت عدة ليال لا أذوق طعمًا للنوم بعد أن قرأت عن هذه الأحداث، فقد كنت أشعر بالأسى وأنا أقرأ عن جرائم الجيش الأمريكى المحتل فى اليابان!!

كنت أستنكر الغزو الذى قام به جيش عظيم من المبشرين النصارى ضد الجزر اليابانية تحت سمع وبصر الجنرال (ماك آرثر) وذلك لاستعباد أرواح اليابانيين، وإنشاء طبقة من الخونة وأعنى بهم المتنصرين الذين من شأنهم أن يساندوا سادتهم البيض والرأسماليين ضد أبناء جلدتهم وبنى وطنهم!!

الحقائق تتكشف:

وفى الكلية التقيت برجال ونساء ينتمون إلى عقائد شتى، وكنت قد أوهمت أن جميع الناس من غير النصارى يعتبرون وثنيين، إلا أننى عندما دنوت منهم وأتيحت لى الفرصة لفهمهم بدأت أحترم «الوثنيين» وأتباع الديانات الأخرى احتراما حقيقيًا، فقد وجدت تسامحا ورحمة بين من يسمى بالوثنيين أكثر مما عرفت فى حياتى كلها بين النصارى، وأصبحت بصورة خاصة صديقا لأحد المسلمين فأخذ يشرح لى مبادىء الإسلام، وسرعان ما أيقنت أن هذا الدين أكثر صلاحية من الديانة النصرانية، فالإيمان بوحدانية الله فى الإسلام أقرب إلى العقل والمنطق من مبدأ التثليث النصرانى، كما أن وجهة النظر الإسلامية بأن جميع الأديان الكبرى فى العالم تنتمى إلى أصل سماوى واحد، تعتبر أقرب إلى المنطق والتسامح من موقف النصارى الذى يصم بالوثنية كافة الديانات الأخرى!!

الإسلام دين ودنيا :

إن تعاليم الإسلام الخلقية تحقق امتزاجا تاما بين المثالية والواقعية. فبفضلها يستطيع الإنسان أن يعرف الله ويصبح ربانيا وهو يقوم بنشاطات الحياة اليومية، وليس فى الإسلام أى فصل بين الدين والسياسة. فعلى الحكومة الإسلامية أن تراعى نفس المبادئ الخلقية التى يراعيها الأفراد عند التعامل فيما بينهم، وذلك فى معاملتها للناس والدول الأخرى، وهكذا فليس فى الإسلام أى مجال للظلم أو الاستغلال مهما كان نوعه، كما أنه لا سبيل فى هذا الدين إلى وجود الاستعمار والرأسمالية والتفريق العنصرى والصراع الطبقى والحروب الجائرة المعتدية.

سمو الإسلام حتى فى الحرب :

إن الكمال لله وحده، وكل الناس خطاؤون لذلك لابد من فرص للدفاع المسلح. إلا أن قوانين الحرب فى الإسلام تعتبر أكثر القوانين إنسانية. فهى تضمن السلامة الكاملة للنساء والولدان وجميع غير المحاربين، وليس هناك أعظم من جريمة قصف المستشفيات والمدارس وأماكن العبادة، ومساكن المدنيين فى المناطق المعادية.

فالإسلام يأذن بالحرب لرفع الاضطهاد كما يأذن بها لإزالة العراقيل التى تقف فى طريق الدعوة والدفاع عن النفس، ولكنه لا يكره أحدا على الدخول فى هذا الدين، كما لا يقر إبادة العزل على يد المستعمرين والمتعصبين، فمن واجب المسلم أن يقبل السلم حتى ولو أراد به العدو خديعته، وهو دين السلام.. السلام مع الله والسلام مع الناس جميعًا.

إن أعظم الفضائل فى الإسلام تتمثل فى محاولة القضاء على الفاقة والألم، كما تتمثل فى خدمة المسلمين. قال رسول الله ﷺ :«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه. ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته.. ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة. ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» (رواه البخارى ومسلم).

لقد تأثرت أعظم التأثر بمبدأ الأخوة فى الإسلام تلك الأخوة التى تشمل كافة بنى الإنسان بصرف النظر عن اللون أوالعنصر أو الاعتقاد. فالإسلام هو الدين الوحيد الذى استطاع أن يحقق هذا المبدأ فى عالم الواقع. فجميع الناس فى نظر هذا الدين متساوون، والأخوة الإسلامية عالمية تقدم على الوطن، وقد أفلح الإسلام فى إزالة كافة الحواجز التى تفرق بين الناس، وقدم للعالم فكرة أن الخلق عيال الله. قال رسول الله ﷺ:

«كل الخلق عيال الله. وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله»(١)

✿✿✿

(١) عيال الله يعنى يتكفل برزقهم ومعاشهم، والحديث ضعيف كما فى تخريج مشكاة المصابيح للشيخ محمد ناصر الدين الألبانى ٢/ ٦١٣. ومعنى الحديث، وهو الإحسان إلى الناس كافة، من بديهيات الإسلام كما دل عليه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا.. ﴾ الآية فإنها شملت الأمر بجميع أنواع الإحسان. وفى الحديث :«خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره» (حديث صحيح انظر المشكاة ج٢/ ٦١١ تعليق الشيخ ناصر).

الهند:

٢٧- محمد ضياء الرحمن الأعظمي

طالب بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

تعريف في سطور

هذه قصة شاب هندوكي درس الإسلام كي يطعن فيه فأسلم، لأن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، وهو الآن طالب يدرس الشريعة الإسلامية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وأهم ما يعجب المرء في قصته أنه صمد أمام أهل الكفر، وضحى بكل شيء في سبيل الفرار بدينه، وفيما يلي قصته كما أرسلها بخطه للمؤلف وقد كتبها بعنوان:

من ظلمات الوثنية إلى ضياء الإسلام:

حينما كنت طالبًا في كلية شبلي (Shibli College) بمدينة أعظم كره Azamgarh بالهند وذلك منذ تسع سنوات تقريبا[١] وقعت يدي على بعض الكتب التي تتعلق بقواعد الإسلام فأقبلت على دراستها بكل رغبة واجتهاد، وأول كتاب قرأته هو «الدين الحق» المترجم إلى اللغة الهندية[٢] لفضيلة الشيخ أبي الأعلى المودودي حفظه الله، ويبدأ هذا الكتاب بقول الله عز وجل: ﴿إنَّ الدِّينَ عندَ اللَّه الإسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩] وكنت جاهلا بمعاني القرآن الكريم ومع ذلك فقد أثرت ترجمة الآية في نفسي تأثيراً شديداً لأنني كنت أعتقد اعتقاداً جازمًا أن دين آبائي هو الحق، وكانت العداوة للإسلام والمسلمين راسخة في قلوبنا نتيجة للاتهامات الكاذبة الشائعة عن ملوك المسلمين على لسان المؤرخين الهنادك الذين كنا ندرس كتبهم في المدارس الحكومية، ويزعم هؤلاء المؤرخون أن المسلمين قد حكموا البلاد بالظلم والعدوان، وإذ يتركز هذا في أذهان الطلاب الهنادك يجد الطالب نفسه مدفوعًا إلى معاداة المسلمين وبغضهم.

---

(١) وصلت هذه القصة إلى المؤلف في ٢٠ يناير ١٩٦٩.

(٢) وهي أقرب اللغات إلى اللغة السنسكريتية وقد صارت الآن لغة رسمية للحكومة الهندية.

وازدادت تلك العداوة حتى عادى الناس بعضهم بعضًا وكنت ممن يكنُّ البغضاء للمسلمين، فجعلت أبحث عن الإسلام فى الكتب الإسلامية ليلا ونهاراً لعلى بذلك أستطيع أن أطعن فيه، ولكن الأمر قد انعكس حينما أثرت هذه الكتب تأثيراً جميلا فى نفسى، مما ألجأنى إلى ترك قراءة الكتب الدراسية التى كنت أطالعها فى ذلك الحين.

وبدأ القلق والاضطراب يأخذ علىَّ مجامع نفسى، فمن المعلوم أنْ الديانة الهندوكية - وأهم مؤلفاتها «ويدك دهرم» وهى عبارة عن أربعة كتب هى (رك ويد) و(وسام ويد) و(أجر ويد) و(أترّ ويد) - كانت منذ آلاف السنين المصدر الوحيد للحضارة الهندية وأساس قوانينها، وكنت قد قضيت بضع سنين فى هذه العصبية الجاهلية.

عَدَاوَةُ الإِسْلَامِ تُرَاث هِنْدوسِيّ :

فالمؤرخون الهندوكيون يكنون فى صدورهم عداوة شديدة للمسلمين، ويكشفون عنها الحجب فى كتبهم التاريخية، فهم أحيانًا يطعنون فى سيرة الرسول ﷺ الطاهرة بقولهم: إنه كان راغبًا فى الحياة الدنيا.. إلخ. وهذا الجهل المركب يتركز فى عقول الشباب الهندوكى.

ومهما يكن من أمر فإن معاداة الإسلام كانت من تراث آبائنا، كما أننى حين نظرت إلى أحوال المسلمين لم أجد فيها ما يرغبنى فى مخالطتهم، فهم متخلفون اقتصاديا وخلقيًا، لذلك كان معظم الناس يقولون: إن الإنسان اليوم فى أشد حاجة إلى الرشاد والهدى فمن يهديه إليهما بعد أن ضل ضلالا بعيداً؟! وعلى الجملة فإن جميع الأسباب لمعاداة الإسلام والمسلمين كانت متوفرة لدى الطالب الهندوكى الذى لا يستطيع بمعلوماته القليلة الضيقة الأفق أن يبحث مباحث توصله إلى الدين الحق، ويكشف عن نفسه ظلمات اللبس وسحب الجهل، فليس من المعقول أن تعتبر هذه المعلومات الضيقة كافية لإيجاد حل لمسائل الحياة الإنسانية، فوجدت نفسى مضطراً للرجوع إلى «ويدك دهرم» كى يطمئن قلبى بما أختاره وأسير به على الطريق القويم، ولكنى لم أجد فيه إلا أساطير الأولين عن عبادة النار والبحر والأشجار والأحجار وغيرها من الجمادات والبهائم، التى لا تملك لأنفسها نفعًا ولا ضراً، فكيف بغيرها؟!



كما يعلل خلق الكون فيها أحيانا بصورة شنيعة قبيحة تنبعث منها رائحة منتنة يفر منها الإنسان اللبيب. ودونك أيها القارىء الكريم بعض الأمثلة:

أَمْثِلَةٌ عَنْ أَسَاطِيرِ الهِنْدُوسِ الدِّينِيَّة :

يقول الدكتور تارا جند (TARA CHAND) الفيلسوى الهندوكى فى كتابه: «تأثير الإسلام فى الثقافة الهندية» (INFLUENCE OE ISLAM ON INDIAN CULTURE) ما يلى: «فكرة ويد: (VAIDICK THOUGHT) إن الأضحية (ذبح الحيوان) آية لصلاح العالم، وهى وسيلة القوة للخالق، فإنه إذا تعب من الخلق وذهبت قوته فإن الملائكة تسترد هذه القوة بالأضحية، فينزل بها المطر وتطلع بها الشمس ويأتى بها الطوفان، لأن هذه هى السبب الوحيد الذى تتم به إرادة الخالق» (ص ٣٠).

ويشرح «فكرة وشو» فيقول: «فكرة وشو (VISHWA THOUGHT) هو الإله الثالث وهو خالق السموات والأرض وما بينهما وهو على كل شىء حفيظ، له أعين فى جميع الجهات وله وجه فى جميع الجهات وله أيد وأرجل كثيرة، وهو وحده لا شريك له. (رك ويد ١٠-٨١-٢-٤). وهو ذات واحدة يسمى «برم برش» (PERAM PURUSH) أى أفضل الناس، له آلاف الرؤوس وآلاف الأعين وآلاف الأرجل. وهو محيط بجميع العالم ومنفصل عنه. وكل ما كان ويكون فهو صادر منه. وهو مالك الحياة الأبدية. ولا يعاقب على أى عمل يعمله لأن أعماله كلها خير.

«فكرة ويدانت» (VAIDANTIC THOUGHT) يقول المفكر الهندوكى وويكاننند (VIVEEKANAWD): «خرج هذا العالم من العدم إلى الوجود بإرادة الخالق. المادة والروح والخالق كل منها أزلى وقديم لا يجرى عليها زمان ولا يأتى عليها حدوث، تدوم الحياة كما يدوم الخالق وكذلك تدوم الفطرة ولكنها تتغير بتغير الزمن: أما الخالق فهو موجود فى كل زمان ومكان، عالم بكل شىء، ليس له صورة حسية ولن يستطيع أحد أن يصل إلى عليائه. إذا ادعى أحد لنفسه أنه الله فقد كفر به». (HINDUISM) (ص٦١-٦٤).

العُنْصُرِيَّةُ الأَبَدِيَّةُ المَلْعُونَة :

«فكرة منواسمرتى» (MANUISMIRTY THOUGHT) وهذا عنوان كتاب يعتبر



المصدر الأساسى لقانون الهندوكيين، وفيما يلى جزء من الباب الأول الذى يبحث فى الخلق:

«إن هذه الدنيا كانت غامضة لا توجد لها علاقة ولا وسيلة. وليس فى مقدرة أحد أن يتوسل إليها بالحجج والبراهين ثم ظهر «بيرميشور» (PERMESHWAR) إله الآلهة بمادة التكوين، وأراد أن يخلق خلقًا من ذاته فخلق الماء وألقى فيه نطفة فصارت هذه النطفة بيضة، فخرج منها «برهما» BRAHMA - الخالق- وكسر البيضة نصفين، فخلق من أحدهما الجنة ومن الثانى الأرض والسموات وما بينهما والجهات الثمان والبحور الهادئة، ثم أخرج من فمه «براهمن» BRAHMAN ومن عضده «كهترى» CHHATTRY ومن فخذه «ويش» VAISHYA ومن رجله «شودرا» SHUDRA. فما دام براهما مستيقظًا فالدنيا باقية. وإذا أخذه النوم تقوم القيامة!!!

المجون والبذاءة باسم الدين :

فكرة «بران» PURANIC THOUGHT يعد بران عند الهندوكيين من الكتب المقدسة وأسفاره أكثر من أن تحصى ولكن الكتاب كله ينسب إلى «ويدوياس» (VAIDVYAS) فاختلف أصحاب بران فى خلق العالم وجاؤوا بقصص ماجنة بذيئة ودونك بعضًا منها:

يقول أصحاب بران إن «ديوى بهكوت» (DEVIBHGAAWAT) خالق هذا العالم امرأة من «شرى بور» SHRI PUR اسمها SHRI وهى التى خلقت الآلهة الثلاثة المعروفين لديهم وهم: برهما (خالق الحياة) وشنو (الرازق) ومهيسن (قابض الأرواح). ولما أرادت هذه المرأة أن تخلق العالم وضعت إحدى يديها على الأخرى فخرج «برهما». فأمرته أن يتزوجها فأبى لأنه اعتقد أنه ولدها، فغضبت المرأة غضبًا شديداً فأحرقته، ثم أعادت عملها فخرج منها «وشنو» فأمرته أن يتزوجها فأبى فأحرقته، ثم أعادت العمل فخرج «مهيسن» فأمرته أن يتزوجها فامتنع إلا بشرط وهو أن تغير صورتها وتأتى بصورة أخرى ففعلت، ثم طلب منها أن تحيى أخويه فأحيتهما، ثم طلب منها أن تخلق امرأتين ليتزوج كل من أخويه بواحدة منهما ففعلت، وتزوج الجميع، وهؤلاء هم الآلهة الثلاثة الذين خلقوا العالم وهم الذين يدبرونه» (ستيارتى بركاش الباب١١).



الإسلام حصن الأمان:

في هذه الكتب المقدسة عند الهنادك ذكر لأفعال تنسب إلى الخالق مما لا يرضى أحداً من الناس أن تنسب إليه (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا)فكان مثلي بعد دراسة «ويدك دهرم» كمثل رجل فر من المطر خوفًا من البلل فوقف تحت الميزاب.أو كما قال الشاعر:

والمستجير بعمرو عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار

وبعد ذلك انشرح صدري للخروج من دين آبائي وطرح العقيدة الجاهلية، والدخول في الإسلام فسجدت شاكراً لله القائل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

الأمور التي حملتني على دخول الإسلام:

١- إن الإسلام ليس دينًا موروثًا عن الآباء بل هو دين لكل من يفتح له صدره.

٢- ليس في الإسلام أية فوارق جنسية ولا عصبيات جاهلية. فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

٣- إن مبدأ الأخوة الإسلامية مقدم على جميع علاقات النسب والوطن كما بين الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

٤- كل من يعتنق الإسلام يصبح فرداً من عشيرة المسلمين لا فرق بينه وبين الذي يولد مسلمًا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]. كما يكون العالم الإسلامي وطنًا حقيقيًا له لقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

٥- إن الإسلام قانون شامل لجميع شئون الحياة الإنسانية وهو يقدم أحسن الحلول

للمشكلات الفردية والجماعية، ومخطىء أعظم الخطأ كل من يحصر الإسلام فى حدود المساجد والمؤتمرات والرابطات.

لقد أدركت حقيقة هذه الأمور المهمة الثابتة قبل تسع سنوات خلت، وذلك فى أيام جاهليتى عندما كنت على دين آبائى، فما كان منى إلا أن اهتديت إلى الإسلام بحمد الله وتركت دين آبائى وأجدادى واتجهت بكيانى كله إلى الإسلام: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

المصائب التى واجهتها عند اعتناقى الإسلام:

لقد دخلت الإسلام وأنا أعلم أن لله فى خلقه شئونًا كما قال تعالى : ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

وفيما يلى المراحل التى مررت بها:

المرحلة الأولى :

ما أن علم والدى بإسلامى حتى حرمنى من التعليم العالى، وأخرجنى من مدينة (أعظم كره) وبعثنى إلى مدينة (كلكته) حيث أصبحت غريبًا لا أجد فيها أحدا من المسلمين أعرفه ويعرفنى، ولكن الله يسر لى فى غربتى من أرشدنى وأعارنى ما كنت بحاجة إليه من الكتب وغيرها، ولولا ذلك لكان إسلامى فى خطر عظيم.

والحقيقة أن هذه المرحلة كانت أشد على من أن يتصورها عقل، وبعد أن وصلت إلى (كلكته) أخذت أبحث عن مركز الجماعة الإسلامية فيها فوجدته، وحصلت على بعض الكتب الهندية المترجمة وشرعت فى مطالعتها استعدادا للمراحل التالية. فاطمأنت نفسى بمصاحبة فضيلة الشيخ عبد التواب حفظه الله، وكان أميراً للجماعة الإسلامية فى كلكته آنذاك.

فأحمد الله وأشكره على ما يسر لى من الأمور إلى هذا الحد. كما أشكر إخوانى المخلصين الذين ساعدونى فى لحظات خطيرة، فالله لا يضيع أجر من أحسن عملا.



المرحلة الثانية:

كانت هذه المرحلة مرحلة بحث ومناظرة مع النساك الهندوكيين رغم صغر سني وقلة علمي وبعدي عن المسلمين في ذلك الحين، وكلما أفكر في المناظرة التي جرت بيني وبينهم في مدينة الله آباد ALLAHABAD أعجب كل العجب كيف تسنى لي أن أنتصر عليهم، إذ أن تلك القوى الكافرة كانت متألبة على إسلامي على اختلاف مسالكها ومذاهبها، ولا أذكر الآن من أسئلتهم التي وجهت إلي إلا سؤالا واحداً هو قولهم:

لماذا تختار دين الإسلام مع أن المسلمين اليوم في شدة وضيق وتفرق وفقر وبعد عن الأخلاق الفاضلة والسيرة الحسنة؟

فأجبتهم قائلا: ما اخترت الإسلام إلا بعد مطالعة قواعد الإسلام لا بمجرد دراسة أحوال المسلمين، وإن كنتم في ريب منه فاعرضوا على ما أشكل عليكم من أصوله وعقيدته؟!

إلا أن جهودهم ذهبت أدراج الرياح فبهتوا وسكتوا وانقلبوا خائبين يلومون أنفسهم كما هي عادة المعاندين عند المجادلة فصدق فيهم قول الله عز وجل: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، واستمر هذا البحث والنقد خمسة عشر يومًا متوالية، كنت أرجع خلالها إلى داري وقلبي مطمئن بالإيمان.

المرحلة الثالثة:

ثم جاءت مرحلة الأذى والتعذيب. فقد حبسوا عني الماء والطعام وانهالوا على ضربًا بالعصي والنعال واستمروا على ذلك شهرين متتاليين، ولما يئسوا من رجوعي إلى دينهم تآمروا على قتلي، ولولا أن الله سبحانه وتعالى نجاني منهم بلطفه الخفي لقتلوني شر قتلة، فيسر الله لي طريق الهجرة فهاجرت إلى مكان هادىء تاركا والدي ورفقائي وأصدقائي وكثيراً من عشيرتي الأقربين، كي أحافظ على ديني وإيماني بكل فرح وسرور مثلما هاجر أبونا إبراهيم عليه السلام قائلا: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦].

المَرْحَلَةُ الرَّابِعَةُ:

ولما خرجت من وطني مهاجراً إلى الله ووصلت على بعد ٤٠٠ كيلو متراً غرب مدينة بدايوان BADAUN أردت أن أقرأ القرآن وأتعلم اللغة الأوردية فعينت لنفسي مدرسًا للغة الهندية والإنجليزية والتاريخ والرياضيات في مدرسة إسلامية صغيرة، وفي أوقات فراغي كنت أتعلم القرآن، ولكن الهندوكيين علموا بوجودي هناك بعد عام ونصف فغاظتهم حياتي الهادئة المطمئنة، فجاؤوا بالمؤامرات الأخرى محاولين إلقاء القبض عليّ، فوجدت نفسي مضطرا إلى الخروج من تلك الناحية إلى جهة أخرى بعيدة عنها وهي منطقة مدراس MADRAS في جنوب الهند.

ولما وصلت إلى مدراس التحقت بمدرسة دينية معروفة تدعى جامعة دار السلام، وهي محاطة بالجبال والأشجار ذات البهجة والمناظر الممتعة التي تسر الناظرين، وأصبحت طالبًا رسميًا في تلك المدرسة، وهي تهتم بالتربية والتعليم ممسّكة بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. بذلك عصمني الله من التعصب للمذاهب واتباع الأهواء والفرق المبتدعة والطرائق الخرافية.

فطفقت أتعلم اللغة العربية وآدابها والعلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه. وتعلمت شيئًا من المنطق والفلسفة. وانتظمت في دراستي ست سنين تخرجت بعدها من دار السلام، وقدمت طلبًا للالتحاق بالجامعة الإسلامية إلى صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة كي أنهل العلوم الشرعية من مناهلها الصافية النقية. فقبل الشيخ طلبي بكل إخلاص ومودة وسافرت من بلاد الهند إلى مدينة الرسول ﷺ سائلا الله تعالى أن يجعلني من الحنفاء المخلصين له الدين، فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين، وأخيرا أرجو الله أن يثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يختم لي بالإيمان. وصلى الله على النبي محمد وسلم تسليمًا كثيراً.

محمد ضياء الرحمن الأعظمي
طالب بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
٢٣ / ١٠ / ١٣٨٨ هجرية

ألمانيا :

٢٨- أحمد عبد الله كوبسيل

« مانفرد كوبسيل سابقاً »

Ahmad Abdullah Kopsel

زار الكويت في النصف الثاني من شهر يناير ١٩٦٩ شاب ألماني مسلم يدعى (أحمد عبد الله كوبسيل) قدم إليها بطريق البر من إيران ضمن جولة في بعض البلاد الإسلامية نهاية المطاف فيها مكة المكرمة، وقد كان نصرانيا فأراد الله له أن يعلن إسلامه منذ ثلاث سنوات خلت، كان ذلك في تونس، وفيما يلي ترجمة تسجيل لمقابلة جرت بينه وبين المؤلف باللغة الإنجليزية.

- أهلا وسهلا بالأخ الكريم أحمد عبد الله!

- أهلا بك يا أخي!

هل لي أن أتعرف عليكم؟

- نعم.. أنا أحمد عبد الله كوبسيل، واسمي السابق هو مانفرد كوبسيل (MANFRED KOPSEL) ولدت في مدينة برلين في الخامس من يونيو عام ١٩٣٧، ويبلغ عمري الآن حوالي إحدى وثلاثين سنة ونصف.

- **نود أن نعرف عن أسرتك وظروف نشأتك في برلين؟**

- لقد عشت مع والديّ وإخوتي عيشة هنيئة حتى كانت الحرب العالمية الثانية فقدت على أثرها جميع أفراد أسرتي في عام ١٩٤٥، ولم يبق لي منهم أحد على الإطلاق. فاحتضنت تربيتي أسرة كريمة في برلين، وعشت بين أعضائها كفرد منها، وذهبت إلى المدرسة مع أبنائها حتى كان عام ١٩٥٥ عندما حصلت على شهادة الدراسة الثانوية فهاجرت إلى الجزء الغربي من برلين، ثم انتقلت إلى بلجيكا فالتحقت بمدرسة المعلمين فيها وقضيت فيها عامين حتى عام ١٩٥٧. ثم عدت إلى ألمانيا واشتغلت فيها برهة

من الزمن غادرتها بعدها فى عام ١٩٦١ إلى تركيا حيث اشتغلت مدة عامين كمدرس للغة الألمانية فى كلية أتاتورك بلواء الإسكندرونة الواقع جنوبى تركيا، ولما انتهى عقدى مع تلك الكلية سافرت إلى تونس حيث يعمل أخ لى بالتبنى(١) اسمه مانفرد (MANFRED) وهو مهندس يعمل فى الحفر والتنقيب عن البترول فى ليبيا وتونس، وهناك - أى فى تونس - افتتحت مدرسة لتعليم اللغات سميتها مدرسة البرلينى لتعليم اللغة (BERIINER LANGUAGE SCHOOL).

- ولكن كيف اعتنقت الإسلام؟

دُعَاةٌ بِأَخْلَاقِهِمْ:

حدث أن التحق بمدرستى المذكورة سبعة من الطلاب كانوا فى فصل واحد، وكلهم من عائلة مشهورة عريقة فى تونس هى عائلة بن غوربال. وكانوا جميعًا على درجة كبيرة من الخلق والذكاء الخارق. فاسترعى ذلك انتباهى كمدرس لهم فأخذت أسألهم عن سر ذلك؟

- إننا مسلمون.

- ولكنى رأيت كثيراً من المسلمين فى كل مكان من أوروبا وتركيا وغيرهما فلم يعجبنى حالهم.

- نحن نحاول يا أستاذنا الفاضل أن نعيش بالإسلام كمنهج حياة، إننا نحاول تطبيق الإسلام فى الواقع.

- هل لكم أن تحدثوننى عن هذا الدين الذى تؤمنون به؟

- بكل سرور يا أستاذنا! لقد أنزل الله القرآن على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام فدعاهم إلى الإيمان بالله وبرسوله محمد ﷺ وبجميع الأنبياء والمرسلين السابقين، كما دعاهم إلى الإيمان بأن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، هل لك أن تتقبل نسخة من القرآن هدية كى تقرأ بنفسك وترى مدى صحة ما نقول؟

(١) الإسلام لا يعترف بالتبنى. قال تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥].

- يسعدنى ذلك! ولكنى لا أعرف العربية، وعلى كل حال سأبعث رسالة إلى ألمانيا لطلب نسخة من الترجمة الألمانية لمعانى القرآن!

- حسنا تفعل!

تَرْجَمَةُ مَعَانِي القُرْآنِ :

وجاءت نسخة القرآن المفسر باللغة الألمانية. فاستلمتها ووضعتها على مكتبى ومضت فترة من الزمن حتى كانت مناسبة عيد رأس السنة الميلادية لعام ١٩٦٦. وكعادة النصارى فى ذلك العيد ذهبت وأخى (مانفرد) إلى حفلة عيد الميلاد فى تونس. وما أن جلست فى الحفل وارتشفت رشفتين من الخمر حتى أحسست بألم شديد لم أستطع عليه صبراً، ثم أصبت بغيبوبة، فما كان من أخى (مانفرد) إلا أن أخذنى بسيارته إلى السكن الذى كنت أعيش فيه، وحاول إعادتى إلى حالتى الطبيعية فلم تفلح مساعيه، ومضى الليل كله حتى إذا كان اليوم الذى يليه استيقظت من غيبوبتى وتحسنت صحتى، وكنت أشعر برغبة شديدة وإقبال على القراءة.. قراءة أى شيء، فالتفت حولى فإذا بنسخة القرآن باللغة الألمانية أمامى وكأنها تدعونى إلى قراءتها، فأمسكت بها، وأخذت فى قراءتها بدون توقف، وما تركتها حتى فرغت من قراءتها بأكملها. واستغرق ذلك منى يومين كاملين كان الخدم أثناءهما يقدمون لى الطعام.

أَنَا مُسْلِم :

لقد أحسست حين أكملت قراءة الترجمة الألمانية لتفسير القرآن بروح جديدة تدب فى عروقى، شعرت بحياة متجددة تسرى فى كيانى، كل شيء فى جسمى ونفسى كان يهتف قائلا: أنا مسلم! أنا مسلم. لقد كنت واثقًا من أننى لابد أن أعلن إسلامى فتوجهت إلى مفتى تونس الشيخ الفاضل بن عاشور الابن وأشهرت إسلامى أمامه.

- وماذا فعلت بعد أن أعلنت إسلامك!

- لقد ذهبت إلى مدرستى الخاصة وقررت بيعها بكاملها، فقد تغيرت مهمتى فى الحياة، وتبدلت رسالتى فيها، وأحسست برغبة فى تعلم هذا الدين، فساعدنى صديق لى وهو وزير الشباب فى ليبيا على الحضور إلى الدار البيضاء والالتحاق بالجامعة الإسلامية فيها، ومضى عام ١٩٦٧م - ١٩٦٨م وأنا طالب فى تلك الجامعة، ولكننى لم

أوفق كثيرا فانتقلت إلى مصر والتحقت بعد بضعة أشهر بالجامعة الأزهرية، وكان أول فندق نزلت فيه فى القاهرة هو فندق فلسطين حيث تأثرت كثيرا بالناس من نزلاء الفندق وهم يصطفون للصلاة الجماعية، وكان موضوع الحديث بينهم الكارثة التى حلت بالمسلمين أخيرا وهى حرب حزيران ١٩٦٧م.

- بهذه المناسبة ماذا كان شعورك حين حدث العدوان الإسرائيلى الأخير على بعض البلاد العربية؟

- منذ أن أعلنت إسلامى وأنا أحس أننى عضو فى جسم واحد هو الأمة الإسلامية، فكل ما يصيبها يصيبنى، ولقد تمنيت أن تتاح لى الفرصة للمشاركة فى معارك الفدائيين الفلسطينيين، فاستغرب ذلك بعض من حدثتهم به فى مصر قالوا:

- إنك ألمانى، وما شأنك بفلسطين العربية؟

- أنا مسلم أولا، وفلسطين قضية المسلمين قبل أن تكون قضية العرب، فكل مسلم فى العالم يشعر أن من واجبه الجهاد فى سبيل تحرير الأراضى المقدسة، ولقد زرت الأردن وتأثرت كثيرا بحال اللاجئين الفلسطينيين فيها، وبالمناسبة أنشأت فى الباكستان داراً لإغاثة اللاجئين.

- فى الباكستان! وهل ذهبت إليها أيضا؟

- نعم، كنت أحسب أن الدراسة فى الأزهر إسلامية صرفة، ولكنى وجدت غير ذلك فتركت الأزهر وهاجرت إلى باكستان حيث التحقت بمعهد العليمية التابع للاتحاد العالمى للدعوة الإسلامية، ثم استقر بى المقام فى أبوت أباد (ABBOIT ABAD) وهى مدينة قريبة من كراتشى يعيش فيها الناس على الفطرة وهم متحمسون للإسلام ولكنهم فقراء من الناحية المادية.

- هل لنا أن نعرف عن نشاطاتك الحالية ومشاريعك فى المستقبل؟

- نعم: لقد التقيت فى أبوت أباد بدكتور ألمانى مسلم يدعى الدكتور علاء الدين شلبى، اعتنق الإسلام منذ نيف وعشر سنوات، وأنشأنا مركزاً للدعوة الإسلامية فى تلك الدينة، وكانت إمكاناتنا المادية محدودة رغم تعاون أهل تلك المدينة تعاوناً تاماً،



ويسرني أن أقول إننا شيدنا المركز المذكور بأيدينا ، لقد اشتركنا في عملية البناء وإعداد كل شيء فيه حتى الموائد الخشبية والدهان، وقد وفقنا الله إلى افتتاح المركز ويوجد في معهد تدريب المعلمين التابع له الآن حوالي ٣٦ طالباً، حسب ما جاء في آخر رسالة تسلمتها من أخي الدكتور علاء الدين، وهؤلاء الطلبة يجدون ما يلزمهم من مسكن ومأكل في المركز، وكلنا أمل أن يوفقنا الله لتخريج دعاة إلى الإسلام على بينة من ربهم ودينهم.

– ما هو هدفك من زيارة الكويت ؟

– إن هدفي من زيارة الكويت هو تبليغ الدعوة الإسلامية لإخواني، أريد أن أذكرهم بواجبهم لحمل لواء هذا الدين، فقد قدمت مع جماعة التبليغ ومعي فرقة مؤلفة من ١٥ رجلا من ذوي الأعمار المختلفة، كما أنني آمل أن أجمع بعض التبرعات من إخواني المسلمين من أجل المركز الإسلامي المذكور، فأنا أعتبر نفسي جندي من جنود الله، وأسأل الله أن يتقبل مني.

هل واجهت أية مشكلة على أثر إسلامك ؟

– عندما علم أخي (ما نفرد) بإسلامي غضب غضبا شديداً وقاطعني واستخف بالأمر، ولكنه لما علم أن المسألة تختلف عن ذلك، وأنني أصبحت رجل عقيدة ، بدأ يحترمني، وتركني وشأني، ولا أزال أحافظ على صلة المودة معه، وقد يكون من الممتع لك أن تعلم أنه لما علم أحد القسس الألمان العاملين في الجزائر باعتناقي للإسلام أخذ يجادلني، ولما أفحمته عرض عليّ في إحدى رسائله مبلغاً كبيرا جدا من المال شريطة أن أرتد عن الإسلام وأعمل معه في سلك التبشير ، فأبيت بطبيعة الحال وقلت: ما عند الله خير وأبقى.

– شكرا لك يا أخي، هل تود أن تضيف شيئاً قبل أن نختم لقاءنا ؟

– نعم ، أود أن أبين أن المسلمين في الباكستان في خطر، فالإرساليات التبشيرية النصرانية تقوم الآن بتربية أبناء المسلمين في معاهدها العلمية لإخراجهم عن دينهم وعقيدتهم، وهذه الإرساليات تنفق مئات الألوف من الجنيهات على هذا العمل الخطير،



ولقد آلينا على أنفسنا نحن أعضاء المركز الإسلامي في أبوت أباد أن نتحدى نشاط هؤلاء، وكلنا أمل أن يساعدنا المسلمون في ذلك، كما أود أن أشير إلى أننا أنشأنا - كما ذكرت آنفا - داراً لإغاثة اللاجئين الفلسطينيين، وقد ذهبت إلى الأردن لإحضار بعضهم إلى باكستان لتشغيلهم وإيوائهم، ولقد تحمس المسلمون في باكستان لهذه الفكرة فجادوا بالمال وكل شيء لمساعدة إخوانهم في الدين، حتى إن امرأة مسلمة كبيرة في السن تبرعت بقطعة أرض كبيرة جدا لإقامة مساكن لهم عليها، ولا شك أن ذلك يستحق كل تقدير وإعزاز.

- شكراً لك يا أخي، وأسأل الله أن يكلل مساعيك بالنجاح والتوفيق.

- شكرا. اللهم آمين.

❁❁❁

سُوريا:

٢٩- أُمل الصَّايغ *

الفَتَاةُ الأَرْمَنِيَّةُ تَهْتَدِي إِلَى الإِسْلَامِ

قال رسول الله ﷺ: كل مولود يولد على الفطرة. وأبواه يُهوادنه أو يُنصرانه أو يمجسانه.

تَعْرِيف

نشأت أمل الصايغ فى عائلة نصرانية كانت تعيش فى قلعة ماردين التركية، ثم نزح أهلها من موطنهم ماردين إلى «الحسكة» الواقعة على الحدود السورية، وكان أهلها يعملون فى حرفة «الصاغة» صياغة الذهب إلى حلى شتى. وقد حصلت أمل على تعليم عال فتعلمت اللغة التركية والإنجليزية والكردية والعربية والفرنسية، وتدرجت فى حياتها المهنية من ممرضة إلى أن أصبحت رئيسة ممرضات فى مستوصف الحسكة العام.

س: متى كانت ولادة أمل؟ وماذا عن حياتها الأولى؟

هى من مواليد ١٩٣١ تقريبًا. وكانت منتسبة إلى حزب القوميين السوريين إذ كانت رئيسة لإحدى خلاياهم فى الحسكة التى تعتبر مسرحًا كبيراً للنشاطات الحزبية المختلفة، وللأرمن - عائلة أمل- الحظوة الكبرى فى هذه النشاطات وكذلك النصارى الشرقيين، كما أن الحسكة تعتبر واحة لطلب الرزق حيث يوجد فيها نهر الخابور الشهير.

س: ومتى بدأت قصة إسلام أمل وكيف؟

شاءت إرادة الله أن يكون فى الحسكة فى حوالى عام ١٩٥٣ عدد من المدرسين المسلمين والمدرسات المسلمات الذين قدموا من حمص وحماة للعمل فى مدارس الحسكة.

(*) كانت هذه القصة نتيجة لجلسة طيبة أجراها المؤلف مع الحاج رسلان الخالد من الجالية السورية فى الكويت، وقد كانت على شكل سؤال وجواب.



وكانت المسحة الغالبة عليهم هى المسحة الإسلامية والتمسك بتعاليم الدين الحنيف والتقوى، وكان كثير من هؤلاء يراجعون المستوصف العام فى الحسكة للتداوى والعلاج، وكان بين المدرسات القادمات من حماة مدرسة مسلمة تقية تدعى «علية الجواد». وكانت تعيش فى الحسكة مع أخيها الصغير الذى جاء معها من حماه كَمَحْرَمٍ لها، وكان طالبًا فى الصف السابع الابتدائى.

وذات يوم جاءت الآنسة علية الجواد إلى المستوصف الذى كانت تعمل فيه أمل، وكان أول لقاء بينهما بمحض الصدفة، فتعارفتا ودار بينهما حوار ودى حول الإسلام والمسيحية، انتهى بأن قدمت المدرسة الفاضلة لرئيسة الممرضات نسختها التى تحملها من القرآن الكريم كهدية منها إليها.

ولما فرغت أمل من عملها أخذت تطالع بشغف آيات القرآن الكريم، فلاحظت الفرق الشاسع بينه وبين الإنجيل، وتكررت زيارات علية الجواد لها وتوطدت الصداقة بينهما وكانت فى كل مرة تسائلها عن بعض المعانى التى لم تكن تفهمها من الآيات والسور، ولما تجلت لها معانى القرآن الكريم وجلاله وصدق رسالته قالت أمل لعلية الجواد ذات يوم:

- أريد منك يا أختى أن ترشدينى إلى رجل فى حماة له مكانته وجبروته، ويستطيع أن يحمينى إذا نويت الهجرة إلى حماة لاعتناق الإسلام، فقالت لها المدرسة المسلمة علية وقد تهلل وجهها فرحًا:

سآتيك برجل موجود هنا من حماة يتم لك على يديه ما تريدين.

واتفقتا على موعد لذلك، وجاء الرجل بصحبة علية والتقى بالآنسة أمل فقالت له بعد أن تطهرت وأخذت القرآن فى يدها:

- إن هذا القرآن بيدى، أحمله بيمينى وأومن به فى صدرى، فإذا كنت ممن يؤمن بهذا القرآن فعاهدنى عليه حتى أكون فى عداد المسلمين منكم وأذهب معكم إلى حماة.

فقال الرجل:

- **ذلك على عهد الله إن شاء الله تذهبين إلى حماة وتكونين فى حصن حصين.**

ومرت أيام، فإذا بالآنسة أمل تلمس من ذلك الرجل أنه غير صادق، إذ كان ينظر إليها خلسة نظرة غير بريئة. فالتفتت إليه وهى تتلو آية من كتاب الله هى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩] وقالت له:

- يا هذا أنا عاهدتك على هذا القرآن لأكون من المسلمات وأذهب إلى بلدكم. ولكنى لم أجد منك هذه الرجولة المطلوبة بمعناها الصحيح. لذلك انصرف عنى، والله ما اندفعت لاعتناق الإسلام رغبة فى التزوج من شبان وسيمين. فلدينا بين النصارى مثل ذلك وربما أفضل منك، فما أكثر من طلب يدى. ولكنى جئت أريد الإسلام أولاً وقبل كل شىء. فانصرف عنى.

انصرف ذلك الرجل عن أمل، ورغم ما عانته من صدمة نتيجة لهذه التجربة ظلت لديها رغبة ملحة لاعتناق الإسلام والهجرة فى سبيله إلى حماة فى حمى رجل أمين. ومضى عام آخر، وفى ربيع العام التالى ١٩٥٤، وفى بداية السنة الدراسية قدم إلى الحسكة مدرس مسلم أمين ذو نخوة وشهامة يدعى بدر الشواف، وكان نقيبًا للمعلمين فى الحسكة فانتهزت علية الجواد هذه الفرصة وفاتحته بموضوع أمل، فما كان منه إلا أن أبدى اهتمامًا كبيراً بأمرها، واستعد أن يضمها إلى أسرته لتكون بمثابة واحدة من أخواته الشقيقات فى حماة، وعاهدها الله على الوفاء والصدق، فجمعت بينه وبين أمل وعاهدها بذلك قائلاً:

- والله على ما أقول وكيل.

ومضت الأيام واتفق الأستاذ بدر الشواف مع أمل أن ينقلها إلى حماة ، فى نهاية السنة الدراسية. وفى غضون ذلك أخذت تتعلم أمور دينها الجديد. وسرعان ما حان الوقت وطويت السنة وكأنها طرفة عين وعاد المدرسون وفيهم بدر الشواف إلى حماة، وما كاد يصل إلى بلاده ويستقر بها قليلاً حتى وصلته برقية من أمل بالحسكة تقول:

« إن القوم قد اقتربوا من زرعكم وكادوا يحصدونه فعجلوا بحصده ونقله».

فهم الأستاذ بدر أن أمل فى خطر ولابد من إنقاذها فوراً، فهب لتوه لنجدتها واتفق مع سائق على السفر فوراً إلى الحسكة. وما هى إلا لحظات حتى كان الاثنان فى السيارة، وهى تطوى الأرض مسرعة إلى الحسكة، ومضت ساعات أخذوا يغذون فيها السير حتى كانوا فى الحسكة قبيل صلاة الظهر بعد سفر طويل، فأوقفوا السيارة أمام أحد المساجد القريبة من المستوصف-حيث تعمل أمل- وجلس الاثنان ينتظران.. وبعد برهة وجيزة خرجت أمل من المستوصف وكأنها كانت على موعد. والتفتت حولها فرأت سيارتهما ولمحت فيها بدر الشواف، فأدركت أنه حضر لأخذها إلى حماة. فسارت فى طريقها حتى كانت بمجاذاة المسجد ثم دخلته وتبعها الأستاذ بدر. فألبسها ملاءة كانت معه فى السيارة. وخرج بها إلى السيارة. ولما ركبت انطلقت السيارة كالصاروخ عائدة إلى حماة.. ومضت ساعات حتى بلغوا حماة قبيل الفجر.. ولكن بعد طلوع الشمس كان والد أمل ووالدتها وأخوها ويصحبتهم قسيس فى سيارة فى حماة، وكانوا يتجهون إلى مقر الشرطة للسؤال عن مصير ابنتهم أمل. وكانت فى صدورهم شكوك تحوم حول بدر الشواف. ولما اجتمعوا برئيس الشرطة قالوا له:

- إنا نتهم رجلاً هنا فى حماة كان يعمل مدرسًا عندنا فى مدينة الحسكة باختطاف ابنتنا أمل الصايغ.

- فقال لهم رئيس الشرطة:

ومن هو هذا الرجل؟ فأجابوا بقولهم:

- إنه بدر الشواف نقيب المعلمين فى الحسكة.

أمر رئيس الشرطة جنوده باحضار الأستاذ بدر ولما جاء سأله:

- أين وضعت أمل الصايغ؟ فأجابه قائلاً:

- إنها فى عهدة الشيخ محمد الحامد والشيخ توفيق الصباغ رئيس هيئة العلماء فى حماة، فطلب منه احضارها من هناك، ولما جاءت طلب القس السماح له بالاجتماع بها على انفراد، ولما تم له ذلك قال لها:

- يا هذه، لماذا لا تعودين إلى أهلك وإخوانك فى الحسكة وتتركين هذا الدين الذى خدعت لاعتناقه؟

فأجابته قائلة :

- الإسلام دين الفطرة ! ولم يخدعني أحد لاعتناقه بل هداني الله إليه . فالحمد لله على ذلك وأنني أدعوكم أنت ووالدي ووالدتي للدخول في هذا الدين الحنيف لتنقذوا أنفسكم من النار.

عندئذ دهش القس وفغر فاه تعجبًا من أمر هذه الفتاة. وأخذته العزة بالإثم فخرج لا يلوي على شيء، واجتمع بوالدها ووالدتها وأخبرهما بما سمع، فقرروا جميعًا اتهامها بالسرقة، وطالبوا بعودتها معهم إلى الحسكة للتحقيق معها.

فأجاب رئيس الشرطة:

- أنا لا أملك هذا ولكن يمكنكم أن ترفعوا ضدها دعوى في الحسكة وتبقى هي هنا في حماة عند الشيخ توفيق الصباغ، وهنا أسقط في يد أهلها فزعموا أنها مجنونة، وأنها دخلت دين الإسلام على أثر جنونها لا من جراء تفكير عاقل رزين. لذلك فإنهم أعربوا عن رغبتهم في أخذها إلى الحسكة لمعالجتها. فقال رئيس الشرطة :

- تستطيعون أن تزعموا ما تشاؤون، قولوا إنها سرقت أو إنها مجنونة. ولكن لا أستطيع أن أمسها بسوء. لأنها في حماية رئيس هيئة العلماء، وهي فتاة راشدة تقرر مصيرها بنفسها. ويمكنكم أن ترفعوا دعوى ضدها بما تشاؤون. فرفعوا دعوى بأنها مجنونة وشكلت لجنة في دمشق- بعيدًا عن حماة- للتحقيق في مدى صحة ذلك. وحدد موعد لانعقاد اللجنة.

لماذا أسلمت ..؟

وفي الموعد المحدد ذهبت أمل إلى دمشق برفقة بدر الشواف وشخص مسلم آخر. ولما مثلت أمام اللجنة وجه إليها أحد الأعضاء السؤال التالي:

حدثيني يا بنتي عن سبب اعتناقك الإسلام؟

فقالت أمل بصوت هادئ:

الأمر في غاية البساطة، لقد قرأت الإنجيل فوجدت فيه تحريفًا كبيرًا وطالعت الكتب

السماوية الأخرى فلمست فيها الأمر نفسه. ثم قرأت كتاب الله- القرآن الكريم- فلم أجد فيه أي شيء من التحريف أو المتشابه. ووجدت أنه يجمع بين دفتيه كل شيء من خلق آدم إلى قيام الساعة. لذلك فقد وجدت أن الإسلام دين الفطرة، دين البساطة، فآمنت به وهجرت دين آبائى وأجدادى.

فقال الطبيب العضو معجبًا. شيء رائع حقًا.

ثم التفت إليها عضو آخر فى اللجنة وقال:

إنك تؤمنين باليوم الآخر، أليس كذلك؟

فأجابت: نعم.

فقال:

كيف يمكنك إقناعى بذلك؟

فقالت: يا سيدى، أنا لا أزعم أننى متخصصة فى الدين. ولكن الإجابة عن هذا السؤال أمر فطرى. فلو ظُلم إنسان فى الحياة الدنيا، ومات هو والظالم من غير أن يأخذ المظلوم حقه، وحيث إن لهذا الكون ربا عادلاً مدبراً، فلابد أن يكون هناك يوم آخر يأخذ فيه المظلوم حقه من الظالم. وإلا فلا يكون هناك عدل عند ملك الملوك، قيوم السموات والأرض، وحاشاه من ذلك!

فقال لها: والله يا ابنتى إنك أعقل منى! فلو سئلت أنا هذا السؤال لما استطعت أن أجيب عليه بمثل هذا الوضوح، اذهبوا عنها فما بها من بأس، ولا شأن لكم بها.

قررت اللجنة الطبية فى دمشق أن أمل بريئة من تهمة الجنون وعادت معززة مكرمة إلى حماة. ولكن مؤامرات أهلها لم تنته. فأقاموا ضدها دعوى بأنها فرت من المستوصف العام بالحسكة من غير إذن. والقانون يقضى بحبس الفار من عمله دون إذن شهراً ونصف الشهر. ولما رفع أهلها هذه الدعوى ضدها عادوا إلى بلادهم خائبين. إذ أن ملابسات المحاكم تستغرق زمنًا طويلاً قبل أن تقضى فى الحكم.

جاءت بداية العام الدراسى التالى، وأمل تعيش مع علية الجواد فى بيتها فى حماة. وجاء أمر بنقل علية إلى ضاحية برى الشرقى- وهى قرية شرقى حماة وتبعد عنها حوالى

٥٠ كيلو متراً- فانتقلت معها أمل محاولة الهرب من السجن المذكور، وآملة أن تتغير الأحوال وتحصل على عفو. أما أهلها فى الحسكة، فقد لجأوا إلى اتباع كافة السبل التى يمكنهم القيام بها ضدها، فاتصلوا بمدير المستوصف العام وكان رجلاً نصرانيًا منصفًا. قالوا له:

- نحن نعلم أن أمل قد سرقت بعض حاجيات المستوصف فهل لك أن تكتب لنا شهادة بذلك؟ فقال الرجل:

- واعجبًا إننى رجل نصرانى مثلكم ولا أحب لأمل أن تسلم، ورغم ذلك أقول: إننى لم أعرف امرأة شريفة ولا صادقة ولا أمينة قط مثل ما عرفت أمل! وهذه هى شهادتى بحقها فإن شئتم كتبتها لكم.

فى تلك الأثناء كان بعض القوميين السوريين يجتمعون فى حماة فى صيدلية لهم تسمى «صيدلية الجامعة»، وصاحبها شخص لبنانى كان يدعى «الجردينى» وكان هؤلاء القوم يترقبون أخبار أمل وتنقلاتها عن كثب. وذات يوم قام صاحب هذه الصيدلية بإبلاغ أسرة أمل بأنها انتقلت إلى قرية بري الشرقى. ودعاهم إلى القدوم لاختطافها. ولما علم أهلها بذلك سارعوا بالذهاب إلى حماه ثم توجه ثلاثة نفر مع أم أمل وأخيها واستقلوا سيارة إلى برى الشرقى فوصلوها عند الظهيرة. وأخذوا يتربصون بأمل قريبًا من المدرسة التى تعمل بها علية الجواد. ولما قرع جرس المدرسة الأخير ايذانًا بانتهاء اليوم المدرسى وأخذت الطالبات يتدفقن من المدرسة تباعًا، شوهدت أمل خارجة من المدرسة بصحبة بعض المدرسات وفيهن علية الجواد. فهاجمها أحد الرجال الثلاثة القادمين بالسيارة وخضها خضة كادت تُكسر أضلاعها، فصرخت ولكن دون جدوى. إذ حملها الرجل إلى السيارة وانطلق الجميع بها ظافرين رغم استنجاد المشاهدين بالشرطة، ورغم توجه بعض المدرسات إلى قرية السلمية وقيامهن بإبلاغ الشرطة بما حدث. هذا بينما كانت السيارة التى تقل أمل منطلقة كالسهم فى طريقها إلى الحسكة وكانت أمل تعانى من غيبوبة تامة على أثر ما حدث.

ومضت ساعة، استيقظت بعدها أمل وأحست بالوضع على حقيقته فأخذت تكيد للتخلص من سخط أهلها عليها فقالت:

- لقد أبطأتم الوصول! إذ أن القوم قد خطفونى رغم أنفى وأخذونى إلى حماة. وكنت انتظر الهروب إلى طرفكم بالحسكة. ولكن دون جدوى. ولقد فرضوا على الإسلام فرضًا.. فقبلته مكرهة، رغم وجود الرغبة الشديدة فى نفسى كى أعود إليكم بالحسكة وكان من الخطأ أن تطلبونى بواسطة المحاكم أو مركز الشرطة. إذ كان بإمكانكم أن تقبلوا أن أعود معكم بحجة دعوتكم جميعًا للإسلام، وهناك فى الحسكة نعود إلى ما كنا عليه.

عند ذلك تبدلت نظرات الغضب إلى حنين وعطف وعناق، وأخذت أمها تغنى وتصفق وأخذت أمل تشاركها فى ذلك . والجميع فرحون مسرورن والسيارة مسرعة إلى الحسكة. ثم وصلت السيارة إلى جسر الرقة فى منتصف الطريق إلى الحسكة تقريبًا. وهنا اعترض سبيلهم اثنان من الشرطة المسماة «شرطة الدرك» فأشاروا إلى السيارة بالوقوف. وما كادت السيارة تقف حتى نزلت أمل منها وهرعت إليهم قائلة:

- إن هؤلاء القوم قد خطفونى من سلمية بعد أن أسلمت. وهم أمي وأخي ورجال ثلاثة آخرون، ويريدون أن يذبحونى بعد إعادتى إلى الحسكة، فأنقذونى من أيديهم! فما كان من رجال الدرك إلا أن أمسكوا بالسيارة ومن فيها وقادوهم جميعًا إلى مركز شرطة الرقة.

وفى مخفر الرقة سألت أمل عن رجل مسلم يحميها ويقف جانبها فاستدعى مختار حى الشراكسة وكان اسمه عبده اليوسف، ولما جاء وعلم بقصتها أخذها إلى بيت أمه وزوجته.

وكلاهما تجيد اللغة التركية. وظل أهل أمل وعصابة الخطف فى المخفر. ثم أرسلت أمل إلى المحتجزين فى المخفر كى يحضروا إلى دار المختار، وأخذت تدعوهم إلى الإسلام فأبوا وامتنعوا، فطلبت من المختار العمل على إطلاق سراحهم جميعًا إذ أن الله أنجاها من بطشهم وهى لا تحمل لهم أى حقد أو ضغينة. وإنما تريد أن تمن عليهم بالفك من الأسر. فأطلق سراحهم. وفى اليوم التالى أرسلت إلى بدر الشواف كى تعود معه إلى حماة.

عادت أمل إلى حماة وفتح لها بيت، وعملت قابلة خاصة للسيدات المسلمات. ولما

شاع خبرها واشتهرت قصتها أقبل عليها الخاطبون وكلهم يطلبون يدها ويخطبون ودها.

ولكنها أبت عليهم وقالت:

ما اعتنقت الإسلام لهذا ولا لغيره.وإن كان ولابد فلن أتزوج إلا من شقيق علية الجواد التى كانت السبب فى هدايتى إلى الإسلام.

وكان هذا الشاب فى الصفوف المتوسطة من المدرسة. فانتظرت أمل عامين حتى فرغ من دراسته وخطبت إليه وزفت، فغبطه كل مسلم كان يتمناها لنفسه من قبل. وهكذا تنتهى قصة أمل وهى لاتزال تعيش مع زوجها فى حماة بعد أن أنجبت منه عدة أبناء ولاتزال مؤمنة صامدة مصابرة. فسبحان الهادى العظيم!!.

❁❁❁

لبنان :

٣٠- وليد أحمد أسعد

(شاكر جورج نايل رشيد سابقاً)

س : لقد سعدنا يا أخ وليد، بسماع قصة إسلامك من بعض الإخوة الكرام هنا في الكويت، فنرجو أن نسمعها منك حتى نستفيد ونفيد. فتفضل حدثنا عن نشأتك وقصة إسلامك.

نشأت في أسرة ريفية، فأصلنا من قرية تدعى تعنايل في البقاع ثم انتقل أهلي إلى قرية أخرى تدعى الفريديس. وكان والدي يعتبر من المزارعين رغم أنه كان في الوقت ذاته مديراً عامًا للسكك الحديدية في لبنان. وقد وضعني والدي في مدرسة القلبين الأقدسين في القسم الداخلي.

س : لطفًا، قبل المدرسة، لو حدثتنا عن تاريخ الميلاد؟

ولدت عام ١٩٣٨م، ونلت الشهادة الابتدائية من مدرسة القلبين الأقدسين، ثم انتقلت إلى المدرسة اليسوعية في بيروت- داخلي- وحصلت منها على الشهادة الإعدادية.

ولما انتقل والدي بحكم وظيفته إلى الزبداني، وكانت السكك الحديدية مشتركة بين سوريا ولبنان، التحقت بالكلية الأمريكية بمدينة زحلة وقدر لي أن أعيش فيها في القسم الداخلي كذلك. وكان يقاسمني الغرفة شاب مسلم يدعى محمد الشحيمي، وكان الطالب المسلم الوحيد بيننا نحن أبناء النصارى، ولم تكن لدي أية فكرة عن الإسلام في ذلك الحين. وكل ما كنت أعلمه هو أنني نصراني وحسب.

وذات يوم وجدت لدى زميلي المسلم كتابًا جديداً لفت نظري فسألته:

ما هذه القصة الجديدة يا محمد؟

هذا هو الجزء الثلاثون من القرآن الكريم، اسمه جزء عمّ.

(فاقتربت قليلاً وحاولت التقاط الكتاب لأطلع عليه فنهرني صديقي المسلم بلهجة حازمة).

- لا يمسه إلا المطهرون.

وظننت أنه يمازحني لما بيننا من مودة ومزاح. ولما علمت أنه كان جاداً فيما يقول، قلت له: حسنًا! إنني على استعداد أن أتطهر فالأمر بسيط. وتقدمت نحو الكتاب فمنعني وقال:

- اذهب وتوضأ كما سأعلمك ثم اغتسل. فقلت له:

- أرني كيف أتوضأ. ففعل صديقي ذلك أمامي.

فقلدته ثم ذهبت واغتسلت. ولما فرغت أمسكت الكتاب وفي نفسي لهفة لمطالعة ما فيه. فقرأت سورة عم وبعض السور الأخرى. شعرت أن هذا الكلام يلقى حنينًا وتجاوبًا من أعماق قلبي. وواصلت القراءة حتى بلغت قوله تعالى:

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (١) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ.. ﴾ [عبس: ١-١١]

فالتفت إلى صديقي متسائلاً:

- هل لك أن تشرح لي مناسبة هذا الكلام؟ فقال:

- لست بمتفقه في الدين. ويكفيك من تقصيري أنني لا أصلي. فقلت له:

- ولكني متشوق لمعرفة سبب هذا العتاب وقصته، ومن هو المخاطب به؟ فقال:

- سآخذك إلى أحد العلماء في هذه المدينة. فأجبته:

- سأكون شاكراً لك لو أخذتني إليه غداً الأحد في عطلتنا الأسبوعية. وهكذا اتفقنا على موعد في اليوم التالي لزيارة الشيخ المسلم المذكور.

وفي اليوم التالي جلسنا إلى الشيخ المسلم في بيته، فوجدته رجلاً وقوراً متواضعًا أليفًا، لايملك المرء نفسه عند مخاطبته من مودته. فقلت له:

- هل لك أن تشرح لى معنى الآيات: «عبس وتولى...» إلى قول القرآن «كلا إنها تذكرة»؟ فقال لى الشيخ الوقور بلسانه العذب:

- يا بنى، إن هذا القرآن من عند الله تبارك وتعالى، نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام على قلب نبينا محمد ﷺ. وفى هذه الآيات يتوجه الله سبحانه إلى معاتبة نبيه محمد عليه الصلاة والسلام لأنه التفت إلى رهط من سادة العرب طمعًا فى إسلامهم، وترك رجلاً أعمى جاء يسأله عن أمور دينه. ولما قاطعه الأعمى وألحّ عليه فى السؤال بدا شىء من العبوس على وجه النبى الكريم. فنزلت هذه الآيات لتصحيح الموقف ووضع الأمر فى نصابه فقلت متعجبًا:

- الله! الله! إذن ليس هذا القرآن من عند نبيكم محمد كما يقول رهباننا. فقال الشيخ:

- هذا زعم باطل يا بنى. فقلت:

- لقد ثبت لى الآن فعلاً أن القرآن لابد أن يكون من عند الله. فقال الشيخ:

- وماذا سمعت من مزاعم أخرى من هؤلاء الرهبان المضللين؟:

- سمعت منهم أن محمداً قد تعلم القرآن من الراهب بحيرا. وقد عرفت الآن أن القرآن ليس من عند بحيرا. وإنما هو من إله الكون الذى يعاتب محمداً هذا العتاب لالتفاته عن الرجل الضعيف الأعمى. فقال الشيخ:

- بهذا ترى أن دين الإسلام هو الدين الحق، وقد جاء به الرسول الكريم من عند الله ليقوم الناس، بالقسط لا فرق بين غنيهم وفقيرهم.

- نعم. نعم. شكراً لك أيها الشيخ الكريم. وأرجو أن تتاح لى فرصة أخرى للقائك.

- وأنا يسعدنى مثل هذا اللقاء فى أية لحظة.

- وداعًا..

- فى رعاية الله.



هِدَايَةُ اللَّهِ:

عاودت قراءة القرآن. وكان يشدني إليه شعور خفي لم أكن أعرف تفسيراً له. وبدأت أوازن بين ما أقرأه في القرآن وبين ما تعلمته طوال حياتي الدراسية الماضية من العقيدة النصرانية، فشعرت أنني أعيش في دوامة، وجاء يوم الأحد التالي فذهبت إلى الكنيسة واستمعت إلى القداس، وبعد أن فرغ الراهب من تلاوته قلت له:

- يا أبانا!

- نعم ..

- أنا إنسان، ألست كذلك؟ فقال:

- بلى .. فقلت:

- إذا تحولت إلى جماد ألا تذهب عني صفات الإنسان؟ قال نعم. فقلت:

- فكيف تقولون بأن الله قد تحول من إله إلى إنسان ولم يفقد صفات الألوهية؟!! فقال:

- اذهب فإن لك بعل زبول[1]. فقلت له:

- أبانا. أقنعني أن الله عندما أصبح إنساناً وفدانا بدمه قد بقيت فيه صفات الألوهية. فقال بعد صمت:

- تعال عندي بعد غدٍ كي أعطيك الإجابة على ذلك.

***

وبعد يومين، وبينما كنت أستعد الذهاب إلى الخوري - كما نسميه - حسب الموعد المضروب بيني وبينه جاءتني الأنباء من بيروت بأن والدتي مريضة، فأسرعت بالسفر إلى بيروت لزيارتها، وهناك التقيت بجار لنا كان يدعى علي جاسم الشيخ. وهو رجل سوري الأصل. وكان لاجئًا سياسيًا في بيروت. وقد لمست أنه رجل طيب القلب، مسلم فيه

---

(١) أي شيطان.

رجولة وصدق وإخلاص ولكنه لم يكن مسلمًا ملتزمًا بالمعنى الصحيح، فقد كان لا يواظب على إقامة الصلاة. ولم يكن ذلك يهمنى كثيراً فى ذلك الحين. وذات يوم التقيت به فى بيتنا ودار بيننا الحوار التالى:

- يا سيد على، أنت رجل مسلم، أليس كذلك؟

- نعم، ولكنى للأسف مسلم عاص.

فقلت له وفى نفسى دهشة من أمره من غير أن أفصح له عنها: هل لك أن تفسر لى مطلع سور عبس وتولى..؟ فقال:

- لا تأخذ بقولى أبداً، وإنما أستطيع أن أحضر لك بعض الكتب الإسلامية الخالية من الشبهات. فقلت له: إننى بحاجة إلى هذه الكتب فقال: ولكن لماذا تريدها؟ فقلت له:

- لقد بدأت أتساءل حول الأقانيم الثلاثة وحول ألوهية المسيح. فقال:

- يا أخى. إن القرآن الكريم يعلمنا كيف نؤمن بالمسيح بكل بساطة ومنطق سليم. يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩، ٦٠]. وإننى رغم بُعدى عن تعاطى الخمور وتجنبى للزنا، لا أصلى ولا أصوم. فقلت له:

- وهل أنت على حق فى ذلك؟ فقال:

- لا والله! لست على حق أبداً. فما أنا بمسلم ما دمت أترك العمل بأركان الإسلام.

البحث عن الحقيقة:

اتفقت مع السيد على جاسم الشيخ أن يأخذنى إلى شيخ يعرفه يدعى الأستاذ نمر الخطيب. ولما ذهبنا إليه رحب بنا وزودنى ببعض الكتب المهمة وشرح لى بعض الآيات وأعطانى نسخة من القرآن.

كنت فى تلك الأثناء أواظب على الذهاب إلى الكنيسة كل يوم أحد. فلما كان يوم الأحد التالى ذهبت إلى الكنيسة كالمعتاد، فوجدت القسيس يتلو القداس. ولما فرغ من أدائه سألته:

– يا أبانا ! تقولون فى الإنجيل بأن عيسى ينتسب فى سلالته إلى الله فهو عيسى بن فلان بن فلان ونهاية السلسلة كما تزعمون هى الله . فأريد منك أن تذكر لى السلسلة كاملة إلى أن تربط لى نسب عيسى بالله . فقال :

– يا بنى! هذه معجزة! والمعجزة لا تقاش فيها .

فقلت: تقولون عيسى هو ابن الله. ولكن النسب لا يتعلق إلا بالإنسان.

فقال: هذا كلام غير معقول. ولذلك أومن به من غير بحث.

فقلت له:

– إنك لم تقنعنى.

ثم خرجت من الكنيسة وانطلقت إلى بيتنا . ولما جلست مع والدتى قالت لى:

– تعالى يا شاكر فاجلس معنا – أنا وإخوتك – حول تمثال العذراء هذا لنصلى لمريم أم الرب. فقلت لها :

– لماذا تفعلين ذلك يا أماه؟ فقالت:

– يا بنى هذه هى صورة مريم العذراء حامية الجميع وأم الإله.

فقلت: يا أماه! إن المرأة لا تلد إلا إنسانًا مثلها. فكيف ولدت مريم إلهها وربها ؟

فقالت: لا يا ولدى. هذه مريم العذراء ذات العجائب السبع.

فقلت لها : إذا كانت مريم العذراء أمًا لله، فلماذا تركها الرب وولدها تموت رغم كونها أمه. هل تتصورين لو أن أحداً اعتدى عليك، أيمكن أن أسكت عنه؟ أفلا يجب على أن أدافع عنك؟ فإذا كان المسيح إلهًا فلماذا لم يدرأ الموت عن أمه؟ ولا أريد أن أقول عن نفسه؟

فقالت أمى:

– إن كلامك هذا كلام فارغ.

فأصابنى الوجوم وانصرفت من مجلسها ، وتوجهت إلى والدى فقلت له:

– يا أبتى! لقد قرأت فى الإنجيل أن المسيح يقول: «أستطيع أن ابنى الهيكل وأبنيه

فى ثلاث ليال». وتفسير ذلك فى الإنجيل هو أنه إذا قتل المسيح فإنه يستطيع أن يعود إلى الحياة خلال ثلاث ليال. فما دام المسيح قد مات وهو الله، فمن الذى دبر هذا الكون بعده؟ فأجاب والدى بقوله:

- يا بنى، إن الخورى لا يفهم هذا، فهل أستطيع أنا أن أفهمه؟!

لم أجد فى أسرتى أحداً يفسر لى ما فى نفسى من تساؤلات حول العقيدة النصرانية فأخذت أزداد لهفة لمقابلة العلماء المسلمين فى بيروت. وكنت أنتهز فرصة ذهابى إلى بيروت كل يوم سبت لزيارة الشيخ نمر الخطيب، والشيخ حسن تميم، والشاب السورى على جاسم الشيخ. فقال لى أحدهم ذات مرة:

- إذا كنت يا أخى تريد الإسلام فعليك بالقرآن الكريم وبالسّنّة النبوية المطهرة، ولا تلتفت إلى واقع المسلمين وما هم فيه من انحراف بعيد عن الإسلام.

فقلت له:

- إن هذا لشىء مؤسف حقًا. فقال:

- هذا هو واقع كثير من المسلمين. وإذا كنت تريد إتباع هذا الدين فعليك بالتحلى بصبر أيوب.

فقلت: وما حاجتى إلى صبر أيوب.

فقال: لا تتوقع أية مساعدة من أحد هنا فى هذا السبيل. ولكننى سأعرفك بعائلة (العيتانى) وهى عائلة مسلمة كبيرة فى بيروت لها وزنها، وقد تحتاج إليها إذا فكرت فى اعتناق الإسلام.

بَيْنَ العَقْلِ وَالعَاطِفَة :

لقد عَرَّفَنِى صديقى على جاسم الشيخ بالسيد مصطفى العيتانى. والحق أننى أصبحت فى ذلك الحين أعانى من بلبلة فكرية عنيفة. فإذا رجعت إلى القرآن وجدت أنه يخاطب الفطرة والعقل البشرى، ويخلو من الرموز الغامضة. وإذا عدت إلى نصرانية الكنيسة وجدتها تقتصر على مخاطبة العاطفة وتدور فى حلقة مفرغة. وظل الحال على ذلك حتى كان عام ١٩٥٩ - ١٩٦٠ حين حصلت على شهادة الدراسة الثانوية العامة

وقررت الالتحاق بدار المعلمين كى اعتمد على نفسى وأعلن إسلامى. وانتسبت لجامعة دمشق قسم التاريخ، ثم تخرجت من دار المعلمين وعينت مدرسًا فى بيروت.

وجاء شهر رمضان فأخذت أصومه وشجعت على جاسم الشيخ على الصيام معى وكنت أفطر معه فى بيته، كما كنت احتفظ بالكتب الإسلامية التى كنت أطالعها فى بيته أيضًا. وذات يوم جلست مع أخى جوزيف وهو عضو فى حزب الكتائب حاليًا ويعمل فى سلك المحامين، فأخذت أناقشه فى الوصايا العشر. وقلت له:

- إن هذه الوصايا العشر لسيدنا موسى لا للمسيح عليه السلام. فالمسيح ترك أمثالاً ولم يترك شريعة. ثم جاء الحواريون من بعده وجمعوها.

فقال لى أخى:

- ومن أين لك هذه الكلمة «حواريون»؟ فقلت:

- إنها من القرآن، اقرأ القرآن تعلم أن المسيح لم يترك شريعة أبداً. فقال:

- وكيف ذلك؟ فأجبته بقولى:

- الأمر بسيط. هل هناك قانون للميراث مثلاً فى الإنجيل. هل هناك نظام اقتصادى سياسى، أو اجتماعى فى النصرانية؟ فأجاب:

- أبداً .. فقلت:

- وهذا معنى قولى بأنه لا توجد شريعة للحياة فى الديانة النصرانية.

حِوَارٌ وَجَدَل طَوِيل:

لم يسكت أخى جوزيف عن هذا النقاش، بل نقله إلى أبيه وأمه. ولما أحس الجميع بتحول أفكارى أخذوا يفكرون فى طريقة تصرفنى عنها. فقرروا أن يزوجونى واختاروا لى ابنة خالى «فوزى المعلوف» فى لبنان فوافقت على ذلك. ولما تمت الخطبة وأخذت أخرج مع خطيبتى صرت أناقشها فى مسائل العقيدة النصرانية.

قلت لها:

- ألا يجوز أن نعبد الله فى أى مكان؟ لماذا نقتصر على عبادته فى الكنيسة؟ ولماذا

نقول: باسم الأب والابن والروح القدس؟ أفلا يكون أقرب إلى المنطق أن نعتقد أن الله واحد لا شريك له؟ فقالت:

- لا أفهم كثيراً مما تقول؟ قلت لها:

- كيف نقول باسم الأب والابن والروح القدس ثم نقول إله واحد آمين؟ فما هذا التناقض؟

لقد صارحت خطيبتي برأيي في الديانة النصرانية. فما كان منها إلا أخبرت والدي حال عودتنا إلى البيت.

فقال لي والدي:

- ما هذا الذي أسمع؟ هل أنت مجنون؟

وجاء أخي جورج وأخي جوزيف.

فقال لي جورج، وهو مهندس طيران:

-هل تريد أن تضيع مستقبلك؟

وقال لي بعد صمت:

- دعك من هذا الأمر وتمتع بما تحب ولتشغل بالك في شيء آخر.

ثم خرجت من البيت وجلست في حديقة الدار وأخذت أفكر:

إلى متى أستطيع أن أكتم أمري؟ لقد كفرت بالنصرانية المعقدة الغامضة، وآمنت بالله وبالإسلام ديناً. وقلت لنفسي: إنني إن كشفت الحقيقة لأهلي فسوف أحارب بشدة. فنحن في بلد شرقي ولسنا في أوربا. لأن لبنان بلد ذو طائفية وتعصب مقيتين. ثم تركت الأمر لله تعالى.

يوم الإكليل وصيحتي بالإسلام:

وبعد ستة أشهر عين يوم الإكليل في الكنيسة لي ولخطيبتي، فوجهت دعوة إلى أصدقائي المسلمين وخاصة السيدين مصطفى العيتاني وسليمان باعتبار أنهما صديقان لي وحددت لهما موعد الإكليل، وفي الموعد دخلت الكنيسة وجاء القسيس والشاهدان.

وأخذ القسيس يؤدى مراسيم الزواج والناس أمامه جلوس يشاهدون. فأحسست أننى لم أعد حراً، وأخذ جبينى يتفصد بالعرق فما وجدت نفسى إلا أن قمت واقفًا وقلت بأعلى صوتى:

- اسمعوا أيها الناس، إننى أعلنها صريحة مدوية كالرعد القاصف فى هذا المكان:

إننى أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأشهد أن عيسى بن مريم عبد الله ورسوله.

فما كان من الخورى الذى كان يوقد الشموع وقد أعطانى ظهره، فما كان منه إلا استدار نحوى ووقع على الأرض، وأخذ ينظر إلىّ نظرة المغشى عليه من الموت. وأسرع أخي جوزيف وتقدم إلى المنصة التى كنت فيها وصفعني، فما كان من مصطفى العيتانى إلا أن هب واقفًا وسحب مسدسًا كان فى حوزته وأطلق رصاصتين فى سقف الكنيسة سقط على أثرها تمثال معلق. وقال للحاضرين:

- أديروا وجوهكم إلى الحائط. وكل من يمس شاكر بسوء سوف يقتل فى الحال.

فامتثل الجميع لأمره واستداروا نحو الحائط، وسادت برهة من الصمت، ثم أخذنى صديقى مصطفى من يدى وخرجنا من الكنيسة، وركبنا أول سيارة أجرة توقفت لنا وذهبنا إلى بلدة صديقنا سليمان. وقضينا فيها تلك الليلة(١).

وفى اليوم التالى عدنا إلى بيروت وذهبنا إلى المحكمة الشرعية حيث أعلنت إسلامى وسجلت نفسى فى سجل المسلمين.

عَقَبَاتٌ وَصُعُوبَاتٌ:

س: يا أخي وليد، هل تتكرم بأن تحدثنا عن الصعوبات التى واجهتها بعد ذلك؟

جـ: نعم. ولكن أرجو أن تتحلى بالصبر.

لقد علم أهلى بطبيعة الحال فأرسلت الكنيسة مطرانها إلى المحكمة الشرعية وزعم

(١) مع ترحيبنا وفرحنا بإسلام هذا الأخ الكريم إلا أننا نعترض على طريقة إعلانه إسلامه بهذه الكيفية القاسية!! لأن الإسلام يفضل دائمًا الحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتى هى أحسن.



أننى مجنون، وحيث أن والدى يتمتع بمكانة مرموقة وله لفيف من الأصدقاء من كبار الشخصيات اللبنانية. فقد استطاع أن يثبت زوراً أننى قد جُننت، فحملونى إلى مستشفى المجانين وقضيت فيه سبعة أيام، حتى استدعانى طبيب المستشفى لأحدثه عن قصتى. فلما سمعها منى قال مستغربًا:

- ما هذه العصبية. إن هذا الأمر لمستغرب.

وقال للمسئولين عن المستشفى:

- افتحوا له الباب وأطلقوا سراحه. والتفت إلى وقال:

- أنت يا أخى حر. فلتعتقد بما تشاء.

خرجت من المستشفى وتوجهت إلى المحكمة الشرعية، ورفعت دعوى طلبت فيها إعادة تسجيلى فى سجل المسلمين. فاستدعى الخورى لحضور الجلسة. وعند الباب قال لى:

- خذ هذا الشيك بمبلغ ١٥,٠٠٠ ليرة لبنانية بشرط أن تقول للمحكمة أنك كنت سكرانًا.

فقلت له:

- هل أنت جاد فيما تقول؟

فقال:

- ولو !؟ خذه من الآن.

فأخذت الشيك منه ودخلت المحكمة.

ولما جلست بين يدى القاضى قلت له:

- يا سيدى الشيخ. ماذا تعطون من يعتنق الإسلام؟

فقال:

- نعطيه الله ورسوله! فقلت:

- لقد أعطانى هذا الخورى شيكًا بمبلغ ١٥٠٠٠ ليرة لبنانية، وها أنذا أدفعه إليكم متبرعًا به لدار الأيتام.

وهنا أسقط فى يد الخورى. وانفضت الجلسة لصالحى. وتركنى أهلى. فكنت من ذلك الحين فى كنف الأخ مصطفى العيتانى، وأخذت أتردد على المساجد وأجالس الإخوة المسلمين. ومضت فترة من الزمن وأنا بعيد عن أهلى، فتحرك الشوق خلالها فى نفس والدى. فعمل على إلقاء القبض على، فأمسكونى وسلمونى للمطران فوضعنى فى دير صليبيا الواقع على سفح جبل صنين. وكان للدير جدران عالية. وقد حاولت الفرار منه عدة مرات فلم أفلح.

س : هذه هى العقبة الثانية فى طريقك، أليس كذلك؟

المحبسة والفرار:

جـ: نعم. لقد كنت خلال إقامتى فى الدير أحاول استفزاز الرهبان وإثارتهم كى يعملوا على التخلص منى. فكنت أدعوهم بأسماء إسلامية. وكنت أناقشهم فى الدين فلم يجدوا مجالاً لتحويلى عن عقيدتى. فوضعونى فى «المحبسة» - وهى عبارة عن مغارة تحت الأرض وفى مكان رطب، فانتابنى شىء من الخوف فلم أصبر وقلت لهم:

- يا جماعة الخير. أنا لست مسلمًا. وإنما أنا نصرانى من منشأى.

فأخرجونى من «المحبسة» وتجنبت مناقشتهم. وكنت أوافقهم فى كل ما يقولون لعلى أجد مخرجًا مما كنت فيه. وذات يوم قدم لزيارة الدير وفد من الرهبان الهنود، ففتح باب الدير على مصراعيه فى تلك المناسبة.والتفتُ فوجدت الملابس الخارجيةَ لأحد الرهبان عند الباب فأخذتها وارتديتها، وخرجت هاربًا من الباب، وسرت مسافة عشرين كيلو متراً تقريبًا، حتى مرت سيارة فأشرت للسائق فتوقف وقال:

- أين تريد الذهاب يا أبانا؟ فقلت:

- إلى بيروت.

فرحب بى. ولما كان سنى فى ذلك الحين لا يناسب لباس الرهبان قلت له وقد أدرت عنه وجهى:

- ليباركك الرب فى ملكوته.

وسار بنا حتى وصلنا بيروت فنزلت من السيارة بعد أن عرضت عليه الأجرة فلم يقبل. فصلّيت على وجهه ومضيت إلى بيت صديقى المسلم مصطفى العيتانى.

رحب بى الأخ مصطفى واكتشفت بعدها أن على الشيخ جاسم قد عاد من زيارة قصيرة إلى القاهرة. ومضت فترة من الزمن قضيناها سويًا إلى أن كان يوم من أيام الجمع ذهبت فيه لأداء الصلاة بصحبة على الشيخ جاسم فى مسجد الجامع العمرى. وبعد أن فرغنا من أداء الصلاة وخرجنا من المسجد صادفنا أحد أخوتى فى باب أدريس بصحبته ثلاثة نفر من النصارى. فهاجمنى أخى وضربنى بالخنجر فأردانى على الأرض جريحًا. ثم انقض صديقى علىّ عليه وعلى الثلاثة المرافقين واستطاع أن يتغلب عليهم. ولما عدنا إلى بيت العيتانى أخذنا نفكر فى وضعى. فتقرر أن أذهب إلى حماة مع جماعة من تجار الغنم الحمويين فى بيروت للعلاج. ولما تماثلت للشفاء عدت إلى بيروت. ثم قررت أن أترك بلدى وأهاجر بدينى إلى الله ورسوله حتى يقضى الله فى أمراً كان مفعولاً.

الهجرة والمطاردة:

استحسن أصدقائى فكرة الهجرة وخرجت إلى الحدود ومعى على الشيخ جاسم ولما كنا ببطن الوادى كى نجتاز الحدود قال لى:

- هل لديك استعداد لمواجهة مزيد من الصعاب. أنك بحاجة إلى قوة إيمان تفل الصخور حتى تستمر فى إسلامك. فإذا لم تكن كذلك فعد إلى أهلك وتب ولا تعرض نفسك للهلاك.

فقلت له:

- توكل على الله. وامض بنا.

وسرنا حتى لقينا أحد رعاة الأغنام فنبهنا إلى وجود حقل ألغام أمامنا. فتقدم السيد على أمامى واجتزنا الحقل وسرنا حتى وصلنا إلى الزبدانى. وهناك ودعنى وعاد إلى بيروت بعد أن سلمنى رسائل توصية إلى أصدقاء له فى دمشق وسرت مشيًا على

الأقدام إلى درعًا بعد أن أمضيت فترة فى دمشق. واجتزت الحدود الأردنية حتى وصلت إلى قرية جنين، فى الضفة الغربية المحتلة الآن من الأردن. وذهبت إلى صديق قديم لأبى وهو رجل مسلم يدعى أحمد أسعد. فلما قصصت عليه قصتى احتضننى واعتبرنى واحداً من أبنائه. فاستخرج لى جنسية أردنية مدعيًا أننى واحد من بنيه وهيأ لى عملاً مناسبًا. وهكذا استراحت نفسى قليلاً.

ومضت سنوات حتى كان يوم من الأيام كنت خلاله فى أحد شوارع مدينة نابلس، أمام بلديتها. فإذا بسيارة تقف بالقرب منى ويطلق منها الرصاص نحوى فأصبت فى رجلى. وحاول ركاب السيارة الفرار. إلا أننى تمكنت من أخذ رقمها. وبعد التحقيق فى الجريمة تبين أن الجناة من الجيش المريمى بالقدس التابع للكنيسة.

لم أشأ أن أحمل أصدقائى فى الأردن مشقة حمايتى من الخطر الذى أصبح يتهددنى فى الأردن، فعزمت على الهجرة فى سبيل الله إلى سوريا. وشرعت فى الهجرة فعلاً حتى استقر بى المقام فى حماة، معقل الإسلام والمسلمين فى سوريا. وتعرفت على فضيلة الشيخ محمد الحامد وغيره من الرجال الأفاضل هناك. وبعد ضيافة دامت فترة من الزمن استقر رأى أصدقائى فى حماة على إرسالى إلى الكويت بحثًا عن عمل فيها بمساعدة رجل كريم مضياف يدعى الحاج رسلان الخالد، فاستحسنت الفكرة وحملونى رسائل توصية إليه، وأعطونى النقود الكافية للرحلة. فسافرت ولما وصلت إلى الكويت ذهبت إلى الحاج رسلان الخالد فوجدته كأحسن ما وصفوه لى، واستطعت بمساعدته أن أحصل على عمل وأن استقر.

الزواج :

كنت حتى هذه اللحظة اعزبَ أود التزوج بأبنة خالة لى فى لبنان لديها الاستعداد لأن تكون مع المسلمين. وكان أن جاءتنى رسالة منها فى أحد الأيام تستنجدنى أن أحضر لمساعدتها. إذ أن أهلى يريدون أن يزوجوها من رجل نصرانى وهى تريد الإسلام والمسلمين. فسافرت ابتغى إحضارها .. وبينما كنت مستقلاً سيارة شحن متجهة إلى قريتى وقع صدام مفاجئ لم أشعر به. وفتحت عينى فوجدت نفسى فى أحد مستشفيات حلب وقد لفت رجلى بالأربطة من جراء الصدام. وبدلاً من أن أذهب إلى ابنة خالتى



جاءت هى لزيارتى وبصحبتها شقيقتى ومعها بعض النقود. فانتقلت وإياهما إلى مستشفى آخر. ولما قدر الله لى الشفاء جئت بهما إلى الكويت. كان ذلك فى أواخر عام ١٩٦٧ - أوائل عام ١٩٦٨م. ولما تهيأ لى عمل مناسب تزوجت من ابنة خالتى، وأرسلت شقيقتى إلى حماة. وها أنذا أعيش مع أسرتى بعد أن رزقنى الله ولداً سميته ياسر.

وبعد:

نشكر الأخ وليد أحمد أسعد على تفضله بسرد قصة إسلامه للقراء ونعتذر للإطالة راجين أن تتحقق بها العبرة المرجوة.

❁❁❁



بلچيكا :

٣١- إسماعيل
(روجيه سابقًا) (*)
بين رودس وبروكسل

أب عصامي ناجح :

بدأ والد (روجيه) حياته المبكرة عامل كهرباء عند أحد المتعهدين الذين يتولون تمديد الأسلاك وتوقيع مرافقها المختلفة .. ولكنه كان من الفطنة ونفاذ النظر بحيث لا يفوته أن ينتفع بكل لحظة وكل سانحه، لذلك لم يكد يستوثق من قدرته الذاتية وخبرته المكتسبة حتى عمد إلى الاستقلال بعمله، فأحدث لنفسه مركزاً صغيراً فى أبرز شوارع (أنفرس) ثم لم يمض سوى القليل من الزمن حتى عرف لدى أصحاب الإنشاءات بأنه من أبرع العاملين فى هذه المهنة، وأكثرهم إخلاصًا وإتقانًا، ومن هنا شق الطريق إلى قمة النجاح حتى أصبح اليوم من أكبر تجار الأدوات الكهربائية، ليس فقط فى العاصمة بل فى مختلف الأنحاء من بلچيكا وما يجاورها من المدن الهولندية والفرنسية، ولعل من حسن حظ (روجيه) أن يلده هذا الرجل العصامى الناجح، وأن يتولى هو نفسه تربيته وتنشئته بالدقة نفسها التى اعتاد أن يبذلها فى ميدان العمل والتجارة، وكان من الأسس الأولى لهذه التربية أن يحرر مواهب ولده من كل ضروب التقييد، فيفسح له مجال البحث فى كل شىء، ويمكنه من الاطلاع على كل ما من شأنه مساعدة هذه المواهب على الانطلاق..

وقد تعمد بوجه خاص أن يقوى فى ولده جانب الاعتماد على النفس، فلم يكرهه على اتجاه محدد، حتى فى نطاق الدراسة ترك له أن يقف عند حدود الشهادة الإعدادية دون أن يضغط عليه لملازمة المدرسة .. وربما كان غرضه من ذلك أن يجعله أقرب إلى عمله هو .. الذى لا يتطلب منه انقطاعًا إلى الدراسة قد يحيد به إلى أى اتجاه آخر.

(*) بقلم الأستاذ محمد المجذوب.



السِّيَاحَةُ مَدْرَسَةُ الحَيَاةِ :

على أن انقطاع (روجيه) عن الدراسة لم يصرفه عن مواصلة الدرس بطريقته الخاصة، فلقد أقبل على المطالعة الحرة يلتهم منها كل ما وصلت إليه يده من الكتب ولاسيما فى موضوعات الأدب والتاريخ والآثار القديمة، وقد ركزت ذهنه فى هذا الطريق عناية والده بالسياحات الدورية، إذ كان شديد الحرص على هذه الهواية يخصص لها من كل عام شهراً كاملاً، فما أن تشرق شمس الربيع حتى يشحن سيارته الخاصة بضرورى الأمتعة وطيب الزاد، ثم ينطلق مع ولده إلى الجهة المقررة، فلا يزالان يتنقلان بين آثارها حتى يأتيا على إجازتهما، فيعودا وقد ملأ أعينهما، وأترعا صدريهما بالمتع التى لا تنسى.. وحتى الآن لم يدعا جانبًا مهمًا من أوروبة دون أن يأخذا بحظ من مشاهدته وتملى آثاره. وها هما ذان يتمان طوافهما بين آثار اليونان، وقد انتهت بهما الرحلة إلى جزيرة (رودس) حيث مضى عليهما قرابة الأسبوع ..

كان التقدير المبدئى أن لا تزيد إقامتهما فى ردوس عن اليومين، ولكن رغبة روجيه فى تمديدها، واهتمام والده بتحقيق رغبته فرضًا على الوالد أن يعدل تخطيطه السابق ليتيح لولده أن يستكمل مشاهداته فى الجزيرة.

المَسْجِدُ وَالجُمُعَةُ وَالضِّيَافَةُ :

وكان (روجيه) يقوم بجولة منفردة فى بعض شوارع رودس حين وجد نفسه أمام مسجدها الوحيد .. ورأى هيكل المسجد شيئًا طريفًا تقع عليه عيناه لأول مرة خارج نطاق الرسوم السياحية(١).. فلم يشأ أن يبارح ذلك الموقع قبل أن يطل على ما بداخله، ويشهد حالة رواده أثناء بعض العبادات..

واتفق أن حدث ذلك ظهر يوم جمعة إذ رأى أفواج المصلين يتجهون نحو المسجد فلم ينتبه لنفسه إلا وهو بينهم متجهًا إلى مدخله، وهناك خلع نعليه بالطريقة التى رآها من الناس، ثم جلس كما جلسوا وصمت كما صمتوا ولما نهضوا إلى الصلاة وجد نفسه يفعل فعلهم، ولكنه اكتفى بالوقوف ينظر إليهم دون أن يعلم ماذا ينبغى أن يعمل، ولما جلسوا قبل الصلاة يستمعون إلى الخطيب شاركهم فى الإصغاء دون أن يفهم حرفًا مما يسمع!!

(١) وكان المسجد ذا قبة بيضاء مستديرة، ومنارة قائمة فى الهواء فعرف روجيه ان هذا المكان للعبادة.

وانتظر روجيه حتى غادر معظم المصلين المسجد .. فتقدم صوب المحراب حيث كان الإمام الخطيب لا يزال مشغولاً بالدعاء، فما أن أحس هذا باقترابه حتى أنهى دعاءه ونهض ليصافحه! وكان من حسن حظ روجيه أن الرجل يحسن الفرنسية إلى حد كان كافيًا للتفاهم معه، فدارت بينهما المحاورة القصيرة التالية:

- أنا بلچيكى من أنفرس .. أقوم بسياحة مع والدى .. وقد استهوانى منظر هذا المعبد الشرقى فدخلته وشهدت صلاة الناس فيه ..

- ألف مرحبٍ هل سرك ما رأيت؟

- بل استهوانى.

- وبماذا ؟

- بهذه البساطة وذلك الخشوع الذى رأيته يغمر الناس. وراح روجيه يحيل عينيه فى جدران المسجد ثم تابع:

- إن خلو هذه الجدران من الرسوم مما يساعد على الاستغراق فى أعمق الخشوع، لأنها لا تجد حولها ما يصرفها عن الله .. ولقد رأيتك تتحدث إلى الناس فى هيئتك العادية دون مساعدة من المغنين، ودون استعانة بالبخور فتتجاوب معك نفوسهم حتى لتسيل دموع الكثيرين منهم دون تصنع، وهذا ما لا يكاد المصلون الآخرون يحسونه فى معابدهم التى أحالتها أيدى الفنانين إلى متاحف تشغل الناظر عن نفسه وما جاء من أجله، ثم أصارتها حركات الكهنة وجوقات المغنين شبه مسارح لا يكاد المشاهد يفرق بينها وبين أية قاعة للتمثيل ..!!

- ذلك هو امتياز الإسلام .. لأنه الدين الذى أنزله خالق العباد لإسعاد عباده، فطبيعى أن لا يكون بينه وبين الفطرة البشرية أى تباين.

- يؤسفنى أن لا أعرف شيئًا ذا بال عن هذا الدين .. الإسلام!!

- أكثر ما يعرف هذا الدين .. الإسلام هو من خلال سلوك المسلمين .. وهذا ما يتعذر على الأوروبى أن يدركه. وهو الذى لا يعرف هذا الدين إلا من خلال أكاذيب.. أعدائه ..

- حقًا إن هناك أشياء سيئة قرأتها عنه في بعض كتب (لامانس) القس اليسوعي البلجيكي، وكم أود لو يتاح لي قضاء بعض الوقت في وسط إسلامي صحيح، لأتبين الحقيقة التي لا تتيسر معرفتها إلا من خلاله.

- كم يسرنا أن نستقبلك ضيفًا كريمًا بيننا .. لعلك بذلك تقف على بعض ما تشاء من هذا الأمر، مع العلم بأننا لا نعتبر أنفسنا أهلاً لتمثيل فضائل الإسلام على الوجه الذي يقتضيه.

وهنا صحب روجيه إمام المسجد إلى والده الذي كان ينتظر في حديقة الفندق، وهناك قرّ الرأي على أن يكون الابن في ضيافة الشيخ أيامًا ثلاثة، وبهذا قدّر لروجيه أن يعيش أحب أيام حياته، في أوساط تلك الجالية التي تعرف من سلوكها وأخلاقها ومعاملاتها الكثير من حقائق الإسلام.

-٢-

الذكرى الثابتة:

لا يتذكر روجيه أنه عاد من رحلة ما خلال عشر سنوات مضت بمثل الشعور الذي يخالجه هذه الأيام التي أعقبت عودته من بلاد اليونان. كان فيما مضى إذا رجع من رحلة أعاد النظر في مذكراته يرتبها وينقح عباراتها ويتحقق من صحتها ثم يطويها فلا يعود إليها، إلا في الأحيان المتباعدة عندما يريد التحدث عن مشاهداته لأحد، أو عندما يقع في مسمعه خبر عن هذه الأماكن التي ألمّ بها أثناء هذه الرحلات، وكلما أوغل الزمن في الكر على هذه الأحداث أسرع النسيان بدوره إلى آثارها في ذهنه، حتى تصبح أخيراً أشتاتًا من الذكريات لا تستيقظ في نفسه إلا تحت ضغط المناسبات المشابهة.

على أن رحلته الأخيرة كانت شيئًا جديداً في وجوده، أشبه بالبذرة الحية صادفت الجو المخصب فإذا هي تربو وتنمو، ثم تمدّ ساقها وتطلق أوراقها ولا تزال تنتشر هنا وهناك حتى تمسي دوحة ذات كيان وظل وجمال .. ولقد ضمرت في ذهنه آثار (الكروبول) وعبر (بومبي) وتماثيل الآلهة المزعومة وروائع الطبيعة في البندقية وصقلية حتى كادت تغيب أو تمحي .. ولكن شيئًا واحداً من بقايا هذه الرحلة ظل على بساطته ثابتًا لا تزيده الإصباح والإمساء إلا تعميقًا وامتداداً.

ذلك هو مشهد المسجد بقبته المستديرة البيضاء وبمنارته القائمة في الهواء تشد أعين الناس لتذكرهم بما تحتها من خشوع لله لا يشوبه شاغل من زخارف الدنيا .. ثم ذلك الإنسان العجيب الذى ترك حديثه واطمئنانه وسمو روحه في أعماق (روجيه) فلا يمكن زواله على مر الأيام وتتابع الأحداث.

إنه ليتذكر هيكله الفارع ونظرته الرحيمة وعمامته الناصعة البياض كقلبه النقى، فتتفاعل نفسه بالمعانى التى لا يسعه تحديدها، ولم يكن له بمثلها عهد من قبل .. وتستتبع ذكريات الشيخ صور الأسَر التى عاش فى ظلها تلك الأيام الثلاثة، ينتقل من ضيافة كريمة إلى أخرى مثلها وكأنه يعيش فى جنة من غير هذا العالم لا تقع منها العين على سوء، ولا يمس السمع ما يجرح أو يخجل، وإنما هى جلوات سعيدة يغمرها روح الإيمان الذى يستولى على قلوب أفرادها، فيصفيهم من الخطيئة حتى فى الضمير فإذا هم آية فى نقاء الخاطر وسلامة الفطرة وطهارة اليد، لا يأتون أمراً ولا يذرون شيئًا إلا على ضوء من روح إيمانهم، الذى نظم علاقتهم بما حولهم على أساس من تعاليم الوحى، فما من شىء إلا وله فى تعاليمهم هذه حكم الحلال أو الحرام أو الإباحة أو الكراهة، وقد بات انسجامهم مع هذه النظم شيئًا طبيعيًا كالملكة الأصيلة، لا سبيل إلى عصيانها، بل إنهم ليجدون أقل انحراف عن سبيلها باعثًا لأكبر الشقاء.

وشىء آخر لا يقل فى الروعة عن كل أولئك: هو ذلك التفتح الروحى الذى يمدهم بالحل المرضى لكل معضلاتهم، فهم يقبلون على أعمال الدنيا بأحفل طاقات النشاط البشرى، وأتم ما يملكون من وسائل الإتقان، فإذا ما انتهوا إلى ثمرات جهودهم تناولوها شاكرين راضين لا يحسد فقير منهم غنيًا ولا قروى مدنيًا، بل يعتبرون ذلك غاية ما قدر لهم ربهم فى عالم الغيب، ومع ذلك فليس ثمة موسر يضن بالمعونة عن معسر بل إنهم ليعتبرون ثرواتهم الخاصة حقًا للجميع ينال منها كل محتاج ما يعوزه عند الحاجة .. ويكاد لا يوجد بينهم فرد لا يحفظ حكمة نبيه العربى: (ليس منا من بات شبعان وجاره جائع إلى جواره وهو يعلم به) ومن هنا كان مجتمعهم لونًا جديداً لا مثيل له بين المجتمعات التى يعرفها روجيه، أو يقرأ عنها، فلا حقد ولا بغضاء ولا تحاسد بل أخوة سعيدة تنتظم الكل فى تفاهم عجيب يجعل الجميع كالجسد الواحد لكل فرد منه منزلة العضو الحى، ولا شك أن مثل هذه الجماعة أغنى الناس عن هاتيك النظريات

الفلسفية والاقتصادية التى تخض أوروبة بأجمعها، فتفكك الجماعات وتزلزل الأفراد وتثير حرب الطبقات حتى لتجعل الحياة كلها أشبه بالكرة فى كف عفريت. لا يستريح فيها الفرد إلى واقعة ولا يطمئن إلى مستقبله.

لا بل إن روجيه ليتذكر ما أحسه من سعة الشقة بين واقع تلك الجماعة وواقع الطوائف الأخرى مما يجاورها فى رودس نفسها. إذ ما يكاد المرء يخرج من نطاقها إلى غمار أولئك حتى يخيل إليه أنه انتقل من عالم إلى عالم، من عالم كل شىء فيه متجه إلى الله، مرتبط بتعاليمه، إلى عالم لا يكاد يذكر الله إلا فى أوقات العبادة المعينة، حتى إذا تفلت من طقوسها انطلق إلى أشكال أخرى من العبادات .. مركزها المال والجسد وألوان الشهوات.

ولقد بات قلب روجيه مرتعًا خصبًا لموحيات تلك البيئة، فهو اليوم يعيش الكثير من احساساتها، وكأنه قد زود من هناك بطاقة من نوع غريب فبها يطل على الحياة فيرى منها ما لم يكن يرى، ويسمع منها ما لم يكن يسمع إنه اليوم ليقف أمام الزهرة من حديقة فيتفاعل صدره بألوان المشاعر، وينظر إلى أشعة الشمس تنسكب على الأفق وتشحن الوجود بعوامل النشاط، فإذا قشعريرة لاذة تنساب فى كيانه، فيخطفه ذلك إلى ما فوق التراب، حتى ليخيل إليه أنه يسمع من خلاله صوتًا علويًا أو يشاهد فى اليقظة الجلال الإلهى يتبدى على كل المخلوقات.

أجل .. إنها لعين ثالثة لا يعرف مكانها من كيانه، ولكنه يحس فعلها فى أعصابه وخياله .. هى التى جعلته قادراً على تذوق الحياة، وتلقى إشارتها الخفية على هذا الوجه الذى لا يحسن له تحديداً ولا تفسيراً ..

نُورُ اللَّهِ :

لقد أصبح على أتم اليقين أن الكون بما فيه من الناس شيئ تافه يبعث السأم ويهيج الغثيان حين ينفصل عن نور الله، ولكنه بهذا النور وحده يتحول إلى أنشودة ساحرة تنشىء الغبطة وتنبت السعادة وتفجر الإلهام وتنشر فى أعماق البشر روح الأخوة والمحبة والسلام .. وإنه لإدراك لا عهد له بمثله قبل أيام رودس، بل قبل الساعة التى جمعه القدر فيها بشيخ رودس ..!!

ولكم يؤسف روجيه أن لا يجد فى يده أى كتاب عن الإسلام، يفصل له المزيد عن حقائقه ويجيبه على الكثير من أسئلته! لقد كانت أيامه فى رودس محدودة لا تتسع لكل ما يجب معرفته، إذ كل ما حصل عليه من هناك هو كلمات ذلك الإمام التى لا تزال تعمل عملها فى قلبه .. وتلك المشاهد السلوكية التى تبينها فى حياة قومه فعلمته الكثير من فضائل ذلك الدين .. لقد أيقظت هذه المؤثرات فى كيان روجيه عطش التطلع إلى الحق .. فلم يعد قادراً على الاكتفاء بما انتهى إليه، بل قد استحالت مبادئ المعرفة هذه عوامل دفع تحثه أبداً للمزيد من الاستكشاف.

إن شيخ رودس قد وصله بأسس الإيمان، القائمة على الإقرار بوجود الله واحداً لا شريك له ولا ولد، وبالكتب التى أنزلها على أنبيائه، وبالنشور لأداء الحساب على الأعمال، فلا يضيع سعى مهما يصغر ولا تُغفل ظُلامه مهما تستر، ثم بسلطان الله على الكائنات جميعًا بحيث لا يقع فى الكون كله شىء إلا وفق قوانينه التى هى صورة العدل المطلق.

وإنه ليستشعر الاطمئنان الكامل إلى هذه الأسس لأن عقله لا يتصور الإنكار لخالق العالم إلا إذا أمكن للعقل أن يتصور إنكار نفسه وما يحس به من حوله .. وهو لم يقتنع قط بأن هذا الخالق يمكن أن يكون له ند أو ولد ما دام بحقيقته مخالفًا لأجناس الحوادث .. وأما الإيمان بالكتب والنبيين فإنما هو إيمان بوحدة الدين ووحدة الإنسانية ثم ليس فى العقل حقيقة أكبر من النشور والحساب بعد الوحدانية لأنهما السبيل الوحيد إلى ضبط النفوس ضمن حدود الفضيلة العليا، ومن ثم إلى تحقيق العدل المطلق الذى كثيراً ما تنصرف النفوس البشرية عن جادته تحت وطأة الأهواء والمنافع الزائلة، وأخيراً أى جدوى من الدين كله لو رفعت سلطة الله عن مخلوقاته! أو ترك هذا الكون فوضى لا تضبطه سنة ولا قانون!..

نحو الهداية والطريق الصحيح :.

غير أن هذا كله، على جلال قدره، لا يروى ظمأ روجيه، فهو يريد أن يعلم بتفصيل تام أوامر الله ونواهيه، لأنه مستيقن أن الإنسان أعجز من أن يعرف طريق الحق الخالص، إذا لم يهتد إلى التعاليم الإلهية التى تحدد له معالمه .. ولاسيما بعد التعقيد الكثيف الذى طمس به الإنسان دروب الحياة، وكاد يحجب مساكلها عن العقل المجرد.

-٣-

وذات يوم قرأ (روجيه)نبأ حرك فضوله .. نبأ يتحدث عن نشاط مسلم هندى يدعى بشير، يقيم فى لاهاى، وقد جعل من داره مركزاً ثقافيًا جامعًا يرتاده أساتذة الجامعات وطلاب المعرفة .. وتدعوه بعض جامعات هولندة من حين لآخر للمحاضرة فى قضايا الإسلام والتعريف بفضائله.

لقد قرأ هذا فى صحيفة بلچيكية معروفة بالتعصب، فهى إذن لم تنشر ذلك الخبر خدمة للعلم، أو تقديراً لعمل هذا الهندى، وإنما تريد بذلك رفعه إلى من يهمهم الأمر من دعاة التبشير ورجال الاستشراق ليأخذوا حذرهم بإزاء هذه البادرة غير المأمونة ..!

وساورته الرغبة فى زيارة ذلك الهندى، وكانت رغبة قوية لم يستطع مقاومتها فلم يتردد إلا ريثما آذن أباه بالأمر، ثم قاد سيارته (البويك) عبر الحدود..

ولم يجد روجيه صعوبة فى العثور على الرجل إذ ألفى بين عملاء أبيه فى لاهاى من يعرفه ويشهد مجالسه، فأخذ هذا بيده إليه، وفى منزل الرجل شاهد روجيه كل مظاهر العلم والثقافة العالية، وحسب الزائر أن يلقى نظرة عابرة على تلك الكتب المذهبة، المالئة جدران قاعة الاستقبال، حتى يدرك أنه تلقاء رجل غير عادى. على أنه لم يلبث هناك إلا قليلاً حتى صدمته الخيبة، فعاد إلى أنفرس فى اليوم نفسه، وفى صدره شعور موجع بمرارة الإخفاق.

أين الرُّوح ...؟

لقد عبر الحدود إلى لاهاى وفى نفسه لهفة إلى روح كريم، يتعهد مشاعره المتوهجة بمدد من الخير الذى قبس أضواءه لأول مرة فى رودس، ولكن سرعان ما فقد ذلك الحلم لأنه وجد فى لاهاى العلم، ولم يجد الروح! وجد رجلاً يملك زمام البلاغة فيرد على كل سؤال ويجول فى كل ميدان، ولكنه يعجز عن ملامسة القلوب الظمأى إلى الاطمئنان والحب!! ويغلب على ظن روجيه أن موضع النقص فى الرجل إنما يتجلى فى غروره بوجه خاص، فهو شديد الثقة بنفسه، قوى الاعتزاز بمعرفته لمذاهب الفلاسفة وأصحاب النحل، يتحدث إلى زائريه فى كبرياء الكهنة لا فى تواضع الربانيين .. وكان هذا وحده كافيًا ليملأ نفس روجيه بالنفرة من هذا الإنسان الذى فى وسعه أن يعثر على أمثاله فى كل

مكان من هذا العالم المترع إلى حلقه بأساطين المنطق المادى، ممن لا يستطيعون مجتمعين أن يمنحوه لحظة من الإشراق الروحى الذى هو بحاجة ماسة إلى المزيد منه!

مَوْعِدٌ مَعَ الأَقْدَارِ الجَلِيلَةِ :

كان روجيه غارقًا فى غمرة هذه التصورات، وهو يقود سيارته فى شوارع أنفرس باتجاه متجر أبيه عندما لمحت عينه ذلك البناء الشرقى الضخم الذى يحمل اسم (مطعم قرطاجنة) وفى انسياق عفوى وجد نفسه يميل إلى ساحة المطعم ليوقف سيارته، ثم يعرج إلى داخله ليأخذ كأسًا من الشاى المبرد. وعندما هم بمغادرة المطعم خالجته فكرة فاقترب من صاحبه التونسى ليجرى معه، بعد تردد خجول هذا الحوار:

- أنت مسلم؟!

- طبعًا .. والحمد لله.

- ألا تعرف مركزًا أو جماعة يعملون لعرض الإسلام فى هذه البلاد؟

وأطرق التونسى مليًا قبل أن يجيب على سؤال روجيه هذا .. ثم قال:

- وهل لى أن أعلم الباعث لسؤالك؟

- إنها رغبة خالصة فى تعرف هذا الدين.

- هل قرأت عنه شيئًا؟

- قليلاً .. ولكنى اتصلت ببعض أتباعه من سكان رودس، فاستهوانى ما رأيت لديهم من فضائله ..

- إذن فسأرشدك إلى شابين من الشام يدرسان فى جامعة بروكسل وإنى لأرجو أن تجد لديهما ما ينقصك معرفته عن الإسلام .

وأخذ التونسى يحدد لروجيه الشارع والمنزل والاتجاه .. وذكر له رقم الهاتف الذى يوصله بمسكن الشابين وأشار عليه بكتابته. ولكن الغبطة أعجلت روجيه عن كتابة أى شىء ومضى إلى سيارته وهو يردد اسم الشارع، ورقم الهاتف واسم الشاب الشامى الذى لقنه إياه. واستمر على ذلك حتى دخل بروكسل غير أنه ما كاد يغيب فى زحامها

حتى فقدت ذاكرته كل علامة ورقم واسم، وراح يدور كاللولب فى دائرة مغلقة، على غير هدى أو تعيين! وكان مستحيلاً أن يستعين بأحد لمعرفة ما يريد، ما دام هو نفسه لا يملك أى إشارة تساعد على تعيين ما يريد..!

وبعد تجوال طويل أوقف سيارته فى زاوية أحد المفارق من شارع (١٠ فيلان ١٩) وفى نيته أن يتصل بهاتف المطعم، ليستعيد من صاحبه التونسى صورة المكان ورقم الهاتف .. وبينما هو متجه ناحية المكتبة المجاورة لاستعمال هاتفها إذا هو بفتى يغادرها وفى سمرته الجذابة هويته العربية فجمد قليلاً يتبين ملامحه كأنه يستعيد بعض الصفات التى سمعها من صاحب المطعم، ورأى الفتى يبتسم له ثم يحييه، فلم يتمالك أن دنا منه ثم صافحه كأنه صديق قديم. وقال فى أدب بالغ:

- إننى افتش عن فتيين من الشام يدرسان فى جامعة بروكسل .. وكنت أردد قبل قليل اسم أحدهما، غير أننى نسيته فى زحام الشوارع ونسيت معه صورة المسكن الذى ينزلانه..!

فابتسم الفتى مجدداً وقال:

- وأنا شامى. فلعلى أستطيع مساعدتك على الاجتماع بمن تقصد .. ألا تذكر بعض حروف الاسم الذى أضعته ..؟

- بلى إنه أ .. أ .. الحرف الذى ليس فى لغة الأوروبيين.

- لعله حرف العين .. عدنان مثلاً.

وصاح روجيه بمثل فرحة الإنسان الذى استرد مفقوداً عزيزاً.

- (أدنان)! هو نفسه.

- وأنا أيضًا اسمى عدنان.

ومرة أخرى يحدق روجيه فى وجه الفتى .. وفى نشوة آسره جعل يهز يده بكلتا راحتيه وهو يقول:

- يجب أن تكونه .. إنك هو حتمًا!

وضحك عدنان مشاركة للفتى وقال:

- أرجو أن أكونه .. فلنمض إذن إلى المسكن إنه قريب .. فى هذه البناية المقابلة.

-٤-

لم يراود روجيه أى شعور بالغربة وهو يلج مع عدنان مدخل الدور العلوى .. بل لقد صعد الدرج الحجرى الأنيق يده فى يده كأنّ بينهما وداً قديمًا، يسقط معه كل تكليف ولما صارا إلى قاعة الاستقبال راح يصافح الحضور بالروح نفسها التى دخل بها المنزل.

وقدم عدنان إليه كلاً من هؤلاء باسمه وجنسيته: هذا أخى محمد يستعد لإجازة الدكتوراه فى الكيمياء والصيدلة، وهذا السيد .. عامل منْ لاجئى الألبان الهاربين بدينهم من الشيوعية، وهذه هدى أخت لنا فى الله فرنسية الأصل بلچيكية المولد، قد شرح الله صدرها للإسلام، وهذه الأخت فاطمة ابنة سفير السنغال .. وهذه أخت لنا أخرى أندونيسية واسمها فاطمة أيضًا.

البحث عن الحق:

وأخذ روجيه محله فى المقعد الذى أخلى له فى صدر القاعة وهنا قدم نفسه للجميع بهذه الكلمات البسيطة! روجيه ابن .. تاجر الأدوات الكهربائية فى شارع .. من انفرس .. أساعد والدى فى تجارته، ولكن مشغلتى الكبرى فى هذه الأيام البحث عن الحق.

وجوابًا على بعض الاستيضاحات قص روجيه على الجماعة حكايته فى إيجاز بليغ ثم قال:

- إنى فى التاسعة عشر من سنى الزمنى، ولكن حياتى الروحية والعقلية لم تبدأ إلا منذ ربيع العام الفائت أيام كنت فى رودس .. تلك الرحلة التى قدحت فى صدرى جذوة القلق. فأصبحت ثائر الشوق مرهف الشعور إلى حد لا أجد معه قراراً.

ولم ينس أن يحدثهم عن سفره إلى لاهاى، والخيبة التى منى بها هناك حتى هداه القدر إلى سؤال التونسى صاحب مطعم قرطاجنة وختم ذلك بقوله: لقد بت على يقين أن يداً خفية تقود خطاى إلى مواطن الخير الذى أنا بحاجة إليه .. ولعل عثورى بعد يأس بمقركم هذا من طلائع التوفيق إلى هذا الخير.



وتصاعدت أصوات الحضور في انسجام حنون: إن شاء الله! .. كان كل ما في القاعة مساعداً على التركيز حول الهدف الروحي الأعلى .. الكتب المرصوفة على النضد النصفي، والمصحف في غلافه الحريري الشرقي ذي الوشي المذهب معلقًا في صدر القاعة.. وبجواره تلك القطعة الفنية الأنيقة مرسومًا على جانب منها بخط عربي ساحر آية من القرآن، وعلى جانب آخر ترجمتها بالفرنسية التي تعني ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

مجتمع عجيب وقدوة حسنة :

وليست مظاهر الحضور دون ذلك كله إيحاء .. ولاسيما أولئك النسوة الثلاث اللواتي أضفين على المجلس فيضًا من المعاني السامية ضاعف من روعته .. ولقد وجد روجيه نفسه مدفوعًا إلى التفكير بهؤلاء النسوة وما يوحيه منظرهن .. أكثر من أي شيء يتعلق بأولئك الحضور من الرجال.

إن أول ما لفت نظره منهن تلك الوجوه الملائكية التي خلت من كل أثر للصنعة فبدت نسيج وحدها في بلاد تحرم حضارتها على وجه الأنثى أن يواجه الناس بصورته الطبيعية .. ثم أرديتهن السابغة التي تشبه إلى حد بعيد أردية الرواهب الكاثوليكيات.. لا تكشف منهن أي جزء خارج حدود الوجه والكفين. وهي ظاهرة قد تكون مألوفة بالنسبة للأندونيسية والسنغالية بوجه خاص، ربما حملتاه من تقاليد أوطانهما، ولكنها شيء لا يصدق بالنسبة إلى تلك الفرنسية التي سلخت الأربعين من السنين في مجتمع يعتبر التبرج، بل التعري، أول معالم الأنوثة الراقية!!!(١)

وطبيعي أن يعجب روجيه لهذه المظاهر الغريبة في محيطه، ولكن عجبه لم يكن ليحجب عن وعيه موطن العبره .. فقد تحقق لديه حتى الآن أن الإسلام نظام كامل متميز، لا يأتلف مع التلفيق والترقيع، يصفي النفس من كل انحراف عن الله، ويؤلف

(١) اعلم يا أخي أن الإسلام منذ ظهوره جعل صيانة المرأة عن الرذيلة من فضائله القيمة فلذلك فرض عليها الحجاب وليست النصرانية ولا الرهبانية وإنما الحجاب من تعاليم الإسلام وليس الحجاب تقاليد مجتمع وإنما هو النص القاطع الذي نزل من السماء بارتداء الحجاب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٩].

بينها وبين تعاليمه، حتى يصبحا معًا وحدة لا سبيل إلى تجزئتها. وبذلك يكون اعتناق الإسلام نقطة البدء فى هجرة تامة من عالم إلى عالم .. من عالم الظلام التى تمحى فيه معالم الحقائق، وينتهى السالك فيه إلى الضياع، إلى عالم النور الذى وضع فيه كل شىء وفق قوانين الفطرة، فكل سالك فى ضوئه موقن أنه على بينة من ربه .. وليس هذا التستر الذى يشهده الساعة فى ثياب هذه الفرنسية إلا توكيداً لهذه الحقيقة، حقيقة الهجرة إلى فضائل الإسلام، وهى بذلك تقرر لكل ناظر فلسفة هذا الدين، من حيث نظره إلى المرأة ككيان إنسانى كامل، عليها من المسئولية نحو المجتمع مثل الذى على أخيها الرجل، وذلك على النقيض من هذه الحضارة الأوروبية التى زيفت طبيعة الإنسان، حتى جعلت من المرأة أداة للتسلية الفاجرة فشغلت الرجل عن مواهبها وفضائلها بما عرضته لعينه من جسدها ومفاتنها.

وشىء آخر لا يقل عن ذلك أثراً فى قلب روجيه .. أن الانسجام الذى يطالعه بين هذه الأجناس التى يتألف منها مجتمع القاعة .. أن هنا الأسود والأبيض والأصفر، فى وحدة أخوية لا يشوبها شىء مما يجيش به مجتمع البيض خارج هذا المكان .. وهى صورة طالما غُذى بالنفور منها، بعد أن اقتنع بنظرية (مونتسكيو) التى تؤكد أن الله قد حمل الجنس الأبيض رسالته إلى الأرض، فهو وحده الجنس السيد، أما الآخرون فلا يجاوزون منزلة الحيوانات والحشرات، كل مهمتهم خدمة البيض وتوفير الوسائل المحققة لهناءتهم، حتى إذا ما فاضوا عن حاجتهم كان من حق السادة أن يتخذوا الوسائل الممكنة للتقليل من وجودهم إلى الحد الضرورى .. كما صنع رجال الدين النصرانى فى هنود أمريكا، إذ قتلوا الكثير منهم بوساطة الحصبة التى قدموا إليهم جراثيمها فى الأغطية الموبوءة.

أجل .. إنه لانسجام مدهش ومخالف لكل ما قرأه روجيه وما لقنه، ولكنه على غرابته أصبح شيئًا مقبولاً فى قلبه الذى بات فريسة للارتياب فى كل ما جاءه عن طريق هؤلاء الأوروبيين من فلاسفة أو رجال دين.

-٥-

وتناول الدكتور محمد الحديث فقال موجهًا الكلام إلى الضيف: «اليوم الاثنين .. وهو موعدنا الأسبوعى لقراءة بعض ما ينبغى معرفته عن الإسلام وما يفتريه خصومه من

المبشرين والمستشرقين .. وموضوعنا الآن حول النبوة فى كتاب (الوحى المحمدى) المترجم إلى الفرنسية .. ولكن لا بأس أن نؤخر هذه الحصة إذا شئت لنجعل منها فرصة لما عندك من الاستيضاحات .. فلعلنا واصلون بالتعاون إلى الخير الذى افتقدته عند ذلك (القاديانى) فى لاهاى!

وشكر روجيه للمتكلم اهتمامه وإخوانه .. وأعلن أن حاجته لا تنحصر فى سؤال أو جانب ولكنها واسعة تتطلب الالمام بكل ما أمكن الالمام به من حقائق هذا الدين .. ولا شك أن موضوع الوحى من أوليات هذه الحقائق لأنه من الغوامض التى قلما يعيها العقل الأوروبى المحبوس فى نطاق المادة ..! ولهذا فهو يؤثر الآن المشاركة فى الاستماع إلى ذلك البحث!

ولقد كان البحث شائقًا وممتعًا، وتناول موضوع الوحى الإلهى بطريقة لا تدع مجالاً للريبة فى حقيقته، إذ تعتمد فى الدرجة الأولى على موازيين الفطرة الإنسانية بكل ما فيها من قوى الفكر والحدس والتصور، حتى ليحس السامع والقارئ أنهما يتحدثان إلى نفسيهما من خلال البحث نفسه، فلا يلبثان أن يستروحا نفحات الاطمئنان. ثم يخرجا من الحديث وقد أيقنا أن الوحى الإلهى إلى محمد (ﷺ) وإلى إخوانه من سابقى الأنبياء إنما يمثل ذروة الشرف بالنسبة إلى الجنس البشرى، لأنه المظهر الأسمى لعناية الله به ورعايته لمصالحه، واهتمامه بهدايته.

وعلى الرغم من قوة المؤلف فى عرض الموضوع لم يشأ القوم أن يتلقوه بالاستسلام، بل كانت الخطة أن يقرأ أحدهم البحث ثم يعمد الآخر إلى تقسيم فقراته وفق الفكر الرئيسية ثم يأخذوا فى مناقشتها جزءاً جزءاً. وكان الباب مفتوحًا لكل مستوضح .. فلم يحجم روجيه عن اقتحامه بما خالجه من تساؤلات لم تخل من الفائدة.

ولما آذنت حصة البحث بالإنتهاء نهض الحضور ليؤدوا صلاة العصر فى جماعة، وخيرّه الدكتور محمد بين أن يستريح قليلاً بانتظارهم أو ينتقل معهم إلى القاعة الأخرى ليشهد صلاتهم. ولكن روجيه لم يستطع إلا أن يعرب عن شوقه الحار إلى مشاركتهم فى تلك العبادة التى طالما شهدها فى رودس، فاستهوت لبه، وأسرت قلبه..

وهنا افتر ثغر الدكتور محمد عن ابتسامة سعيدة وقال لروجيه:



- ذلك حق لكل إنسان عندما يقتنع بحقائق هذا الدين.

فقال (روجيه) فى حماسة لم يطق كتمانها:

- إننى مقتنع .. فما السبيل إلى إعلان هذا الاقتناع؟

- الشهادتان .. ثم تغتسل وبذلك تتهيأ للدخول فى الصلاة التى لا تصلح إلا مع الطهارة.

وسرت رعشة بارزة فى جسد روجيه. ثم نظر إلى محدثه بعينين تتوهجان بروعة الحزن ومضى يقول:

- أود لو أستطيع ذلك لفورى .. فإننى أخشى أن يدركنى الأجل وأنا على هذه الحال.

وخرجت كلماته هذه فى غصة مؤثرة لم تلبث أن هزت أعصاب الحضور جميعًا فإذا هى تلهب مشاعرهم وتفجر فى أعماقهم منابع الغبطة حتى غلبت بعضهم دموعه فراح يزرفها فى صمت وخشوع.

ولم يجد الدكتور محمد فى لسانه القدرة على الكلام فى هذا الجو المشحون بالانفعال فاكتفى بأن تأبط ذراع روجيه، ومضى به نحو مغتسل المنزل وفى جهد استطاع أن يقول له وهو يمسح جفونه:

- تستطيع أن تستحم، وسآتيك بثوبين داخليين طاهرين .. ولسوف تجدنا بانتظارك للصلاة.

***

وفى القاعة أعلن (روجيه) إسلامه على مسمع من شهود جمعتهم أخوة الإسلام من مختلف أقطار الدنيا وأجناسها .. واختار لنفسه اسم (إسماعيل) جد رسول الله ﷺ، ثم أخذ مكانه فى الصف فى أول صلاة قام بها لله، على نحو من الخشوع لم يحلم بمثله قبل اليوم.



أمريكا :

٣٢- فرانك ستوك

الطريق إلى الإسلام :

مقدمة :

لقد أخذ الفرح بمجامع نفسي واستغرقتني البهجة والسرور حين تسلمت الرسالة التالية من شاب أمريكي كاثوليكي هداه الله للإسلام يدعى فرانك ستوك. فقد أحسست حين قرأتها بأن الجاليات والأقليات المسلمة في الخارج التي تعيش وسط مجتمعات غير مسلمة. هذه الجاليات لها دور بالغ الخطورة والأهمية. فهي النافذة الحقيقية والترجمة العملية للدعوة إلى الإسلام إن هي استمسكت بعقيدتها ودينها، إذ أنها في هذه الحالة تقدم للناس القدوة العملية، وتحضهم بلسان الحال والمقال على أن يكونوا مسلمين.

كما أن تلك الجاليات يمكن أن تمثل حاجزاً منفراً للناس صاداً لهم عن الإيمان والهدى إذا هي باعت دينها بدنياها، وتقمصت شخصية المجتمعات المنحرفة التي تعايشها.

هذا شاب أمريكي قدر له الاحتكاك بأفراد من الجالية المسلمة في نيويورك وانديانا، وكان من حسن طالعه أن هيأ الله له شبابًا متدينين طيبين. فنشأت بينه وبينهم صداقة متينة وعاش معهم يتأمل حياتهم ويرى ما يذهله من إخوة إسلامية تجمع بينهم وتشد أزرهم.

وهنا عاد بي الخيال إلى مئات من السنين خلت، وساح فكري في بلاد كثيرة من العالم انتشر فيها الإسلام على يد فئة قليلة مؤمنة من التجار المسلمين الذين ذهبوا إلى تلك البلاد فاحتكوا بأهلها وكانوا قدوة عملية رائعة أمامهم.

وهنا أيضًا عرفت السبب الجوهري الذي أدى إلى تعثر انتشار دعوة الإسلام .. إن المسلمين ويا للأسف لا يمثلون قدوة عملية حسنة أمام الآخرين. ها هم أولاء المهاجرون

المسلمون والعرب إلى ديار الغرب والشرق من طلاب وعمال وموظفين وغيرهم، ما يكاد يصل الواحد منهم، وأعنى أغلبيتهم، إلى بلد من بلاد أوربا أو امريكا أو غيرهما حتى يذوب كيانه فيها ويستغرب فى كل جزئية من حياته! فبدلاً من أن يكون مشعل هداية ونبراس نور يهدى إلى الحق وإلى الخير الذى جاء به الإسلام، يتحول هذا المسلم المهزوز إلى عضو جديد فى مجتمع الضائعين المنهمكين فى الشهوات والملذات.

ولكن لابد هنا من تحية نوجهها إلى تلك الفئة القليلة المؤمنة المهاجرة بدينها المستمسكة به. فقد دأبت أن تقدم لنا كل يوم أنموذجًا جديداً من المهتدين إلى الإسلام. تحية إلى الشباب الصامد الذى آلى على نفسه أن ينشر النور فى الظلمات.

روى لى عن أحد أفراد الفئة الأولى وهم الكثرة الكاثرة للأسف أنه لشدة انغماسه فى الحياة الأمريكية ما كان يحب أن يصطدم بشىء يذكره بالعرب وبالمسلمين. وكان هذا الفتى الغر عربيًا مسلمًا كما تقول شهادة ميلاده. وحدث ذات يوم أن التقى بشاب عربى مسلم آخر راسخ القدم ثابت الجنان: ذى عقيدة صادقة. فما كان من هذا الشاب المؤمن إلا أن حيا صاحبه بتحية الإسلام قائلاً: السلام عليك يا فلان؟ فما كان من هذا الفتى الغر إلا أن أشاح عنه وجهه وتجاهله. ولما كرر عليه ذلك التفت إليه وخاطبه بحدة باللغة الإنجليزية فقال:

«أمازلت تستمسك بهذه التحية هنا ؟!» لماذا أتيت بها من هناك؟! وأشار بيده إلى جهة الشرق.

حين أتذكر هذا الشاب وأمثاله أعرف الجواب على التساؤل: لماذا لا يصل الإسلام إلى العالم؟ فالإسلام بحاجة إلى رجال يحملونه إلى الناس لا بالقول والبيان وحدهما بل بالعمل والقدوة الحسنة.

ونقطة أخرى سيلاحظها القارئ فى قصة هذا الشاب الأمريكى فرانك ستوك. وهى نقطة لا تقل إيلامًا عن سابقتها، وأعنى بها العقبات التى يلقاها المهتدى الجديد إلى الإسلام حين يتصل بالجامعات الإسلامية لاجئًا إليها لينهل منها علم الدين. إذ كان الجواب على اتصاله بالجامعات الإسلامية هو الاعتذار عن قبوله، فلم يجد أى تشجيع

منها. أليس جديراً بنا نحن المنتسبين إلى الإسلام أن نأخذ بيد من يأتينا مسلمًا بدلاً من أن ننفره ونتركه فى مهب الريح؟ اللهم اهد قومى واغفر لهم فإنهم لا يعلمون(١).

والآن إلى رسالة الأخ الأمريكى التى تشرح طريقه إلى الإسلام:

-١-

البقالة وصاحباها:

قبل حوالى خمس سنوات خلت تم بيع البقالة المحلية فى ضاحية أوزين بارك الجنوبية بولاية نيويورك لرجل يدعى عيسى عباسى وأخيه عمر، وهما رجلان عربيان مسلمان من فلسطين هاجرا إلى أمريكا من القدس عبر طريق عمان. وكانت أسرتنا تسكن على مقربة من هذه البقالة. فسرعان ما أصبحنا على مودة مع هذين الرجلين إذ أن والدتى ليست من أصل أمريكى، فهى لذلك تقدر الصعوبات التى يواجهها الأجنبى حين يسعى إلى التكيف مع الحياة فى أمريكا.

ولقد تعودت عند عودتى كل يوم من المدرسة أن أتوقف قليلاً لأتحدث مع عيسى، وكنت حينئذ طالبًا فى المدرسة العليا. وكان عيسى حريصًا على إحضار أسرته الكبيرة إلى هذه البلاد، ولما كان خطه باللغة الإنجليزية رديئًا فقد كنت أقوم بالكتابة له وملء النماذج المطلوبة لذلك. فأتيحت لى فرصة المناقشة المستفيضة معه تناولت كافة جوانب الحياة الفلسطينية والأمريكية، وكنا فى غالب الأحيان نبحث فى أمور الدين ثم فى السياسة. ولأول مرة عرفنى بالثقافة العربية. إذ كان يشرح لى العادات العربية ويذيقنى الطعام العربى الشهى.

وأول شىء نجم عن هذا الاتصال هو تشوقى الشديد لمعرفة اللغة العربية: فقد كنت حينئذ أجيد الفرنسية والنرويجية بالإضافة إلى اللغة الإنجليزية. وكانت الأصوات والكتابة العربية تخلب لُبِّى آنذاك.

وأخيراً جاءت أسرة عيسى إلى أمريكا. وأخذت أعلم ابنه دروسًا فى الفرنسية يوم

(١) الحمد لله الصورة الآن أحسن كثيراً من ذى قبل وكثير من المسلمين انتبهوا ويقومون بمهمة عظيمة في العمل بدينهم، ودعوة الناس إليه قولاً وعملاً، مما كان له آثار طيبة ندعو الله أن تزيد باستمرار.

السبت من كل أسبوع، وكان عيسى يعلمنى اللغة العربية فى المقابل. وكان تقدمى فى ذلك بطيئًا إذ إننى لم أكن أعرف الخط العربى، فلم أحفظ سوى عبارات ضرورية معدودة مثل «صباح الخير» و«كيف حالك» و«شكراً». وهكذا أدى إطلاعى الأول على الإسلام إلى اهتمامى باللغة العربية. ولكن هذا كله كان من شأنه أن يتغير عندما ذهبت إلى الكلية للدراسة العليا.

الكُلِّيَّةُ وَزمَلَاؤهَا :

كانت الكلية التى التحقت بها للدراسة العالية هى كلية كوينز الواقعة فى منطقة فلاشنج من مدينة نيويورك وهى كلية أهلية، كان حوالى ٩٥٪ من طلابها من اليهود. فتخصصت فى اللغة الفرنسية هنا، إلا أنه تبعًا لآرائى المؤيدة للعرب ونتيجة المجتمع المغلق الذى كان يهيمن على الجالية اليهودية فى نيويورك لم يكن أصدقائى إلا من الطلاب الأجانب. وكان فى الكلية معهد خاص لتعليم اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية للطلاب الأجانب: فقابلت بعض الطلبة الليبيين الذين قدموا لتوهم إلى أمريكا، وكانوا يدرسون فى المعهد المذكور.

كان هؤلاء الطلبة الليبيون ينزلون بيتًا فسيحًا، ولما لمست فيهم الرغبة فى تعلم اللغة الإنجليزية، وأبديت لهم رغبتى فى إجادة اللغة العربية، من أجل ذلك دعونى للإقامة معهم فى منزلهم. فرحبت بذلك، وأخذت أقضى عندهم ثلاث أو أربع ليالى من كل أسبوع أبيت فيها عندهم. فكانت دهشتهم عظيمة حين وجدوا فى شابًا أمريكيًا يعرف شيئًا عن الإسلام، كما يعرف شيئًا لا يستهان به عن سياسة بلادهم ولغاتهم وعاداتهم الاجتماعية. ومن هنا نشأت بيننا صداقة ومودة متينة.

الأُخُوَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ :

لقد بدأت أتأمل حياة هؤلاء الطلبة فأدهشنى من أمرهم جانب واحد هو أنهم كانوا خمسة شبان جاءوا إلى أمريكا من خمس مدن ليبية متفرقة، لم يتعرفوا على بعضهم بعضًا ولم يرْ بعضهم بعضًا إلا هنا، ولكنهم رغم ذلك كانوا يتعاملون مثل تعامل الأخوة الأشقاء. وكنت شغوفًا جداً لمعرفة الأساس الذى تنبنى عليه هذه الإخوة. وسرعان ما علمت أن ذلك الأساس هو الإسلام. فقد كان الإسلام يهيمن على كل تصرف يأتونه.

فكلما فعل أحدهم شيئًا أو همّ بعمل شيء ما رجع إلى دينه الذى كان بمثابة ميزان حساس لأعماله، فإما أن يحضهم دينهم على ذلك الشيء وإما أن ينهاهم عنه. وكانوا جميعًا على ذلك.

-٢-

باحث عن الإسلام:

وبعد، فقد ولدت ونشأت فى أسرة نصرانية كاثوليكية، وأرسلت إلى مدرسة ابتدائية ثم مدرسة عليا كاثوليكية. ولقد فهمت مذاهب النصرانية فهمًا جيداً وكنت كاثوليكيًا متعصبًا ... ولكن ها هم أولاء المسلمون يتعاملون بروح من الحب الحقيقى، وبمزيد من الإحسان والروح النصرانية الحقة تجاه بعضهم بعضًا رغم أنهم ليسوا من النصارى، ولكنهم يفوقون كل نصرانى رأيته فى حياتى. فلئن كان دينهم هو أساس هذا كله فإنى قررت البحث فى دينهم باستقصاء. ها هم يقدموننى إلى طلاب مسلمين آخرين من ليبيا كان مجموعهم أربعة وعشرين طالبًا. فكان منهم ستة طلاب يحافظون على صلواتهم اليومية ... فأخذت أراقب هؤلاء الستة وأتأمل تصرفاتهم .. فوجدتهم يقيمون الصلاة خمس مرات كل يوم دون انقطاع .. فتملكنى شعور بأن هؤلاء لابد مؤمنون حقًا بهذا الدين، وأنه لابد من وجود شيء ما فى دينهم يلهمهم ويدفعهم إلى الصلوات الخمس اليومية.

لقد بدأت أقرأ كل كتاب أجده فى متناول يدى عن الإسلام .. وشيئًا فشيئًا أخذت تتكون لدى فكرة عن حقيقة الإسلام من الناحية النظرية والعلمية. وفى تلك الآونة كان اهتمامى بالإسلام عظيمًا، ولكنه كان اهتمامًا أكاديميًا - علميًا - صرفًا. ثم تبدل ذلك برّمته حين رحل أربعة من الطلبة الليبيين من مسكنهم، وجاء خامسهم ليعيش مع أسرتنا لمدة شهرين كاملين.

لقد كان ذلك الشاب الليبى متدينًا، ولقد شاركنى غرفة نوم واحدة، وكنا نقضى الساعات الطوال نناقش ونبحث موضوع الإسلام وكنا نقارن بينه وبين الديانة الكاثوليكية .. فبحثت معه كل ركن فى العقيدة الكاثوليكية وكان يقدم لى التصور الإسلامى المقابل. وكنت أوجه إليه العديد من الأسئلة التى كنت استقيها من قراءاتى.



وهكذا انقضت مدة الشهرين، رحل بعدهما الشاب الليبى المسلم من بيتنا ... وبعد شهر واحد من مغادرته .. كنت ذات مساءٍ جالسًا أفكر بهدوء فى الدين الإسلامى.

نداء ضميرى:

وإذا بخاطرة مفاجئة وفكرة غريبة ترد فى ذاكرتى .. لقد شعرت فجأة أننى أؤمن بالإسلام وعقيدته .. وسمعت صوت ضميرى يخاطبنى ويقول لى:

(إذا بقيت نصرانيًا فستكون منافقًا لأنك تومن بالإسلام .. لابد أن تكون مسلمًا).

لقد حاولت التهرب من هذا الشعور المخيف المرعب بالنسبة لى آنئذٍ .. فلم تكن لدى أية فكرة البتة حول كيفية اعتناق الإسلام، رغم أننى كنت أعرف أننى لابد فاعل ذلك لا محالة.

وهنا تذكرت البيت القديم الذى كنت أشارك فيه الطلاب الليبيين فى سكناهم فعدت إليه لأتلمس بعض الذكريات من الواقع .. لقد تغير البيت ونزل فيه بعض الطلاب الإيرانيين الذين كنت أعرف واحداً منهم معرفة طفيفة وهنا أحسست بالرغبة الشديدة فى زيارتهم. فلما لقيتهم وتعرفت عليهم وجدتهم أيضًا متدينين مسلمين رغم اختلاف لغتهم وثقافتهم عن أصدقائى الليبيين الذين كانوا نزلاء البيت نفسه.

لقد جلست مع الشاب الذى كنت أعرفه من قبل منهم، وحدثته عن تجربتى وقلت له: إننى أريد أن أكون مسلمًا. وطلبت إليه مساعدتى فى تحقيق تلك الرغبة، والدخول فى دين الله الذى آمنت به.

أَسْلَمْتُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ:

وهنا سر الفتى الإيرانى المسلم، وقلت له:

ولكن أرجو أن تجيب على بعض الأسئلة المتعلقة بالإسلام قبل الشروع فى اعتناقه. فرحب بذلك وأخذت أسرد عليه أسئلتى واحداً بعد الآخر، وهو يجيب عليها ويبدد الشبهات التى كانت ما تزال عالقة فى ذهنى عن الإسلام. ثم جاءت الخطوة التالية...

فقد أخذ يعلمنى كيفية الصلاة، فلم أستطع بادئ ذى بدء أن أحفظ الكلمات التى يجب أن تقال .. فأخذ يصلى أمامى ويطلب منى أن أقلد أفعاله وأن أردد كلماته بقدر ما أستطيع .. وقد استغرق ذلك جهداً ووقتًا طويلاً حفظت بعده كل ما يجب أن يقال أو يؤدى لإقامة الصلاة ..

وجاءت الخطوة التالية .. فقد كتبت إلى المركز الإسلامى فى مدينة نيويورك، وإلى مديره الدكتور محمد عبد الرؤوف .. فشرحت له رغبتى فى اعتناق الإسلام، فما كان منه إلا أن اتصل بى هاتفيًا ورتب لى لقاءً به .. كان ذلك فى السادس عشر من شهر أغسطس عام ١٩٦٧م. ولما تم اللقاء المنشود فى وقته المحدد أخذ الدكتور محمد عبد الرؤوف، مدير المركز الإسلامى فى نيويورك يسألنى عن الإسلام. ولما اقتنع بصحة فهمى له وصدق عزمى على اعتناقه أعلن رسميًا دخولى فى الدين الإسلامى الحنيف فى ١٦/٨/١٩٦٧م فالحمد لله على ذلك.

-٣-

حملة شعواء ودعوة هادئة :

لم يصدق والداى فى بادئ الأمر أننى قد غيرت دينى حتمًا، ولكنهم عندما أيقنوا بصحة ذلك استبد بهم الغضب وذهب بهم كل مذهب. فقد كان يعوزهم التسامح والفهم الصحيح للإسلام، ومن ثمة حاولوا منعى من الصلاة بأقسى الطرق، وأخذوا يعملون على إحباط عزمى على أن أظل مسلمًا. وأخيراً، وبعد أن يئسا من تحولى عن دينى الجديد، طردنى أبى من البيت. فخرجت هائمًا على وجهى، لا أدرى ماذا أصنع وإلى أى مكان أتجه؟! ثم هدانى الله إلى فكرة جيدة، وهى أن أحاول تفهيم والدى حقيقة الإسلام الذى آمنت به.

عدت أدراجى إلى البيت وأخذت أحدث والدى عن فضائل الإسلام، ولقد وفقنى الله فى ذلك كثيراً. إذ ما أن شعر والداى بحقيقة ما كنت أريد ولمسوا حاجتى الماسة إلى هذا الدين الذى جعلنى رجلاً أفضل كثيراً فى نظرهم مما كنت فى السابق. هنا .. وفى تلك اللحظة انقلب غضبهما إلى رضا وتحول حقدهما إلى مودة. وأصبحت علاقتى بوالدى

أمتن وأوثق مما كانت عليه من قبل، بل إن حبهم لى قد غدا أكبر من أى وقت مضى ... فالحمد لله على ذلك أيضًا.

اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ ضَرُورَةٌ لِلمُسْلِمِ:

ولما ازداد مع الأيام فهمى واستيعابى للإسلام قررت أن أكرس جل حياتى لهذا الدين القويم، وأن أبدأ فى دراسة اللغة العربية والقرآن الكريم دراسة جادة. وتملكتنى رغبة شديدة لنيل درجة الماجستير ثم الدكتوراه فى دراسة علوم الدين الإسلامى. فعندها فقط أكون أهلاً لأن أحمل الإسلام للأمريكيين. وفى ظل هذه الرغبة، وتحت راية هذا الهدف تقدمت بطلب الدراسة فى الجامعة الإسلامية فى مدينة البيضا بليبيا، ولكننى للأسف لم أستلم أى رد منها رغم أننى كتبت إليها أربع أو خمس رسائل. كذلك اتصلت بجامعات إسلامية شتى فى المملكة العربية السعودية وفى باكستان، وكلها زعمت بأنها ملأت الشواغر الموجودة لديها.

وأخيراً كان من حسن طالعى أن حصلت على منحة دراسية فى اللغة من جامعة أنديانا لدراسة اللغة العربية خلال عام ١٩٧٠ - ٧١م وإننى سعيد غاية السعادة بهذه المنحة إذ أنها تمكننى من تعلم اللغة العربية .. ونحن هنا فى جامعة انديانا لدينا جالية مسلمة كبيرة، كما لدينا دائرة إسلامية. وأنا الآن أمين سر الدائرة الإسلامية المذكورة. وكلى أمل أن أوفق فى يوم من الأيام للدراسة فى إحدى الجامعات الإسلامية، وأن أتخصص فى موضوع التأويل والتفسير اللذين يشكلان اهتمامًا كبيراً لدى. فمما يؤسف له أن هذا الفرع من الدراسات الإسلامية لا يَدَرّس فى الولايات المتحدة الأمريكَية. ولم توافق أية جامعة إسلامية حتى الآن على قبولى طالبًا بها، رغم أننى على ثقة من أنها لا تضم حاليًا سوى عدد ضئيل من الأمريكيين المسلمين الذين يريدون دراسة برنامج فى الدراسات الإسلامية. وإننى أرحب بكل عون واقتراح يقدم إلى فى هذا الخصوص.

- ٤ -

الدِّينُ الوَاضِحُ:

وقبل أن أختتم حديثى هناك نقطة تستحق الذكر وهى أن المبادئ الإسلامية التى

استوقفت نظرى واستقطبت جل اهتمامى أكثر من غيرها ، كما كانت بارزة واضحة فى فكرى حين أقبلت على الإسلام ... هذه المبادئ هى:

أولاً: كثيراً ما تترك النصرانية جوانب «باهتة» غامضة فى التصور الاعتقادى يملؤها الشك والريب .. نقاط سكت عنها الدين النصرانى .. ولم أكن أدرى ماذا أفعل تجاهها ؟ أما الإسلام فكل شىء فيه واضح لا لبس فيه ولا غموض .. وهو يستغرق كافة جوانب الحياة الإنسانية ويشملها فلا أحس بأدنى شك أو ارتياب، كما لا أشعر فى ظله أننى تائه أو ضال. بل أعتقد من صميم قلبى أن الإسلام منهج كامل للحياة يغاير النصرانية، والحق أن الإسلام هو الدين الكامل الوحيد: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

ثانيًا: إن الإسلام يستقطب العقل والمنطق، فليس فيه أية أسرار أو طلاسم لا سبيل إلى استيعابها ، بل كل شىء معروض للاستفسار والسؤال عن حكمته وعلة تحريمه أو تشريعه، وكل شىء يعتبر محلاً لأعمال الفكر وإنعام النظر قبل اعتناق الإسلام. كما أن عقيدة الإسلام عن التوحيد أقرب إلى المنطق والفطرة السليمة من مبدأ التثليث عند النصارى، لأن مذهب التثليث يسهل دحضه وإثبات بطلانه بقليل من التأمل وسعة الأفق.

كما أن الإسلام لا يسمح بفصل الدين عن الدنيا ، وإنما يزود المرء المسلم بهداية شاملة كاملة تملأ حياته الدنيا وتعده بالأمان والفوز بالجنة فى الدار الاخرة.

وفى الختام نسأل الله أن يثبتنا على دينه الحق، وأن يرزقنا جميعًا العمل الصالح.

فرانك ستوك

(انديانا - أمريكا)

❁❁❁

فهرس الجزء الثانى

السعر ٤ جنيهات

هذا الكتاب

الإسلام دين الله إلى جميع خلقه وهو فطرة الله التى فطر الناس عليها والإنسان خلق من روحٍ وجسد وقد طغت اليوم الماديات على الروحانيات فأصابت البشرية بأمراض اليأس والعجز واضطرابات نفسية شتى.

و قد جاء هذا الكتاب يروى قصصاً واقعية عن رجالٍ ونساء أسلموا.. فقد ولدوا بعيداً عن ديار الإسلام بل ونشأوا فى مجتمعات تتعصب ضد الإسلام وتشوهه إلا أنهم لفظوا المادية الزائفة وصدقوا مع أنفسهم فتفجرت من صدورهم ينابيع الهداية إلى الدين الحق فأسلموا بعد إيمان ودراسة واقتناع

و هذا الكتاب موجه إلى المسلمين فى المقام الأول الذين وجدوا الإسلام والعربية بين أيديهم أمراً هيناً سهلاً ففرطوا فيه . فعند مطالعة قصص هؤلاء الذين أسلموا نرى كم العناء والجهد الذى بذلوه ليصلوا إلى الإسلام.

و هذه كلمات جاءت على لسان فتاة إنجليزية أسلمت :"يعيش العالم الغربى اليوم فى ظلام دامس وليس هناك أي بصيص أمل فى قيام الحضارة الغربية بتوفير سبيل لتخليص الروح والنفس .. والإنسجام اللطيف فى الإسلام بين مستلزمات الجسد ومتطلبات الروح يمكن أن يمارس تأثيراً قوياً فى أيامنا هذه وبوسعه أن يبين للحضارة الغربية السبيل المؤدى للفلاح والخلاص الحقيقيين".

مهندس

ماجد أحمد يحيى

